السنة الثالثة عشرة   العدد ٤   نيسان سنة ١٩١٠

المشرق

رحلة أثريّة الى الأقصُر وأُسوان

لحضرة الخوري لويس ملحة كاهن الموارنة في الاسكندريّة

لم تضنَّ علينا الأيَّام برحلة الى ارضٍ قد طالما تاقت اليها النفس وطمح اليها البصر نريد بها مصر العليا حيث جعل الفراعنة حواضرهم في تلك العهود السالفة فشيَّدوا ما شيَّدوا من شواهق الهياكل وشوامخ المعابد ما لا يزال ينطق بما كانوا عليهِ من السيطرة والصولة والاقدام على العظائم. وقد رأينا ان نذكر لكرام قرَّاء المشرق الاغرّ تفاصيل رحلتنا هذه لعلَّهم يجدون فيها ما يفكّه الالباب ويسرّ الخواطر فنقول :

١ بين القاهرة والاقصر

برحنا الاسكندريَّة في ١١ كانون الثاني ١٩١٠ قاصدين القاهرة ومنها ركبنا القطار الفاخر عند الساعة السادسة والثلاثين من مساء اليوم التالي فانطلق بنا ينهب الارض نهبًا وما كاد يقطع مسافة ألا وحان ميعاد طعام العشاء فقصدنا قاعة الاكل المعدَّة في باطن القطار حيث جلسنا على المائدة مع عدد غفير من السيَّاح فشرعنا ننظر تارةً ذات اليمين وطورًا ذات الشمال مصغين الى ما يتحدَّث بهِ هؤلاء السيَّاح على امل ان نجد فيما بينهم من يتكلَّم بالافرنسيَّة فنبادله الكلام فخاب الامل اذ قد ظهر بان السواد الاعظم من ركَّاب ذلك القطار انَّما كانوا من الاميركان والانكليز ودأبهم في فصل الشتاء ان يؤمّوا القطر المصري لزيارة آثارهِ

وما انتهينا من تناول الطعام حتى شعرنا بنفحة من البرد فعمدنا الى الفراش في

قطارنا حيث رقدنا رقدة مَن لم تكتحل عينه بغير السهاد . ولمّا كاد يتمزّق ستر الليل هببنا من النوم واشرفنا من نافذة القطار فرأيناه يخترق مروجاً نضرة كبُسط المخمل الناعم ذات اللون الزمردي الآخذ بمجامع العيون واوساطها مرصعة باشجار النخل الباسقة وهي تختال وتميس باغصانها التي تناطح السحاب

وما فتئ ان لاح لنا من فوق قمة جبل بعيد اشعّة لازوردية اندهشت لها الابصار. ونحن كذلك واذا بالغزالة بزغت من بين تلك الاشعّة البديعة الالوان مصوّبة سهامها الينا والى تلك البقاع النضرة فانجلت عن محاسن فتّانة رائعة وبقينا على هذه الحال الى ان بلغ القطار محطة الاقصر نحو الساعة التاسعة صباحاً فانحدرنا منهُ وقصدنا احد الفنادق و بعد ان استرحنا قليلاً من السفر عمدنا الى دليل فذهبنا معهُ الى هيكل الاقصر

٣ الاقصر وهيكلها

دُعيت الاقصر بهذا الاسم لفخامة ابنيتها الجديرة بمنازل الملوك وهي اليوم بلدة يناهز عدد سكّانها الأحد عشر الفاً منهم الفان وستمائة من الاقباط والاجانب والبقيّة مُسلمون وهي تابعة لمديرية قنا . وشهرتها بهيكلها العظيم احدى عجائب مصر

. وهذا الهيكل قد شرع الفراعنة بتشييدهِ في عهد الدولة الثالثة عشرة فوق انقاض معبد قديم كان مخصصاً للاله امون ولزوجتهِ الالهة موت ولابنهما خنسو ثم اخذ فراعنة السلالات التالية يضيفون اليهِ بعض الابنية والزخارف والنقوش حتى بلغ ما بلغ من رحب الارجاء وجلال المباني . وللهيكل المذكور اربعة مداخل هي من الفخامة بمكان بنى الاوّل منها رعمسيس الثاني الطائر الشهرة (اطلب وصفهُ في المشرق ٧ : ٥٥٠ و٨ : ١١٤٠) . ولمّا وصل الاسكندر بغزاوتهِ الى تلك الجهات اقام ايضاً في الهيكل المشار اليهِ مقدساً يُرى على جدرانهِ رسم ذلك الغازي ماثلاً امام الاله امون ويُعَدّ هذا الهيكل من ابهى الهياكل التي عُني بتشييدها فراعنة مصر ثم عدنا الى النزل فتناولنا طعام الغداء. واذ حانت الساعة الواحدة بعد الظهر ركبنا حمير مصر القاهرة وتوجهنا الى زيارة هياكل الكرنك

٣ هياكل الكرنك

ادركنا هذه الهياكل وهي لا تبعد عن الاقصر اكثر من نصف ساعة وما كدنا نطوف في اخربتها الَّا واخذ منَّا العجب مأخذهُ اذ رأينا هناك احسن ما ابتدعته العقول البشريَّة من فنون الهندسة وعجائب البناء وما اصطنعتهُ الايدي من النقوش والالوان والكتابات ونحتتهُ الانامل من التماثيل والمسلّات والانصاب وما بلغت بهِ قدرة هؤلاء الفراعنة وهم اليوم سكَّان القبور من قطع تلك الحجارة المتناهية في الضخامة والثقل ومن نقلها وهندستها ورفع تلك الاعمدة الشاخة باحكام واتقان

الَّا ان اجل تلك الهياكل وافخمها انَّما هو هيكل الاله آمون الراقي تاريخهُ الى اوائل الدولة الثانية عشرة نحو سنة ٢٤٦٦ قبل المسيح لكنه لم يبلغ ما بلغ من العظمة والرونق الَّا بعد ان مرَّ عليهِ ازمان وحقب كما سترى

فان عمنوفيس الأوَّل قد شيَّد حذاء المعبد الاصلي مقدساً اخنى عليهِ الزمان ثم قام تحوتمس الأوَّل وجعل ثيبة عاصمة الملك فلم يرَ ذلك المقدس اهلاً بعظمة الاله فُعني بانشاء باحة فسيحة الارجاء تنتهي الى مدخل مهيب من الجهة الغربيَّة ثم الحقهُ فيما بعد بمدخل ثانٍ من الجهة الشرقيَّة وسوَّرهُ بسور حصين نصب امامهُ مسلَّتين واحدث بين هذين المدخلين رواقاً جميلاً

ثم جاءت الملكة هتشبسوت وابتنت امام المعبد القائم داخل باحة تحوتمس الأوَّل الآنفة الذكر مقدساً خصوصيًّا ونصبت في الرواق المشار اليهِ مسلَّتين جميلتين يبلغ ارتفاع كل منهما ثلاثين متراً وعلى راس كل واحدة اكليل من ذهب هرمي الشكل. ثم انجز تحوتمس الثالث يوم استقل بالملك ما كانت قد شرعت بهِ اختهُ هتشبسوت ولم يقف عند هذا الحدّ بل عمد الى دكّ اركان قسم كبير من اعمدة باحة تحوتمس الأوَّل واقام مكانها سلسلة معابد صغيرة وما زال هذا الفرعون يحدث التحسينات الى ان اصبح البناء من اجل الهياكل المصريَّة. (اطلب وصفهُ وصورة مدخلهِ في المشرق ٧: ٥٥١—٥٥٣)

امَّا فراعنة السلالة التاسعة عشرة فقد اضافوا الى هذا الهيكل من جميل الابنية وفخيمها ما جعلهُ اشمخ هياكل تلك الاعصار واشهرها نخصُّ منهم رعمسيس الأوَّل

الذي بنى له ايضاً مدخلاً غاية في المتانة والجمال وسيتي الأوّل ورعمسيس الثاني اللذين شيّدا بين هذا المدخل ومدخل عمينوفيس الثالث تلك الساحة الفريدة المروقة بجماعة الاعمدة وقد استنفدا وسعهما بجعلها عجيبة العجائب ثم احاط فيما بعد رعمسيس الثاني هذه الساحة بسور آخر ليس باقل خطورة من غيره

ولمّا قبض الملوك الليبيون زمام الاحكام جعلوا يحذون حذو من تقدّمهم من الفراعنة في اقامة الاروقة ورفع الاعمدة وما اشبه فان شيشناق (1 قد احدث امام رعمسيس الأوّل ساحة رحبة وطوّقها باروقة من جهتي الشمال والجنوب بحيث اكتنفت قسماً من معبد رعمسيس الثالث. ثم جاء بعده تهارقه (2 احد ملوك السلالة الخامسة والعشرين واقام في الساحة نفسها بناء جميلاً على شكل خيمة يستند الى عدة اعمدة متينة

امّا البطالسة اليونان خلفاء الفراعنة فانّهم احدثوا في هذا الهيكل بعض تغييرات وختموه بمدخل فخيم. وقد بيّن حضرة الاب ميشال جوليان في مقالته النفيسة عن الآثار النصرانية في هياكل مصر القديمة (المشرق ٤: ٣٤٢) كيف اتّخذ النصارى هياكل الاقصر لعبادتهم فخصّوها بالاله الحقّ. ثم اخذت اعمدة هذا البناء الشامخ وانصابه ومسلّاته وما شاكلها تتداعى الى السقوط بتوالي الازمان بيد ان مصلحة الآثار المصرية قد تلافت ذلك ولا تزال تشتغل بهمّة لا تعرف الملل بترميم انقاض هذا الهيكل الفخيم لتصونه من انياب الادهار وطوارق الحدثان

هـذا ما اردت الالمام به في هذه العجالة من تاريخ اشهر هياكل الكرنك وما هو الّا قطرة من سحاب في جانب ما ذكره الاثريّون والمؤرخون من الاوصاف المتّسعة النطاق في بطون مؤلفاتهم ومطاوي اسفارهم

٤ قبور الفراعنة في بيبان الملوك (3

نهضنا صباح اليوم التالي و بعد تلاوة الصلوة سرنا مع دليلنا الى النيل فعبرنا على

---

1) قد عرّف الكتاب العزيز هذا الملك باسم شيشاق وهو الذي حمل على رحبعام ملك يهوذا كما ورد في سفر اخبار الأيام الثاني (ف ١٢)

2) وهو المعروف في الاسفار المقدسة بترهاقه ملك كوش (الملوك الرابع ١٩: ٩) ونبوءة اشعيا (٣٧: ٩)

3) اطلب مقالة الاب مالون في المشرق (٨: ١٤٧-١٤٩)

زورق الى الضفة الغربية وهناك امتطينا المراكب فسارت بنا سيراً حثيثاً وكنا أبان السير نرى امامنا جبلاً اقرع اصلع فسألنا دليلنا عن اسمه فقال لنا انه الجبل الذي في سفحه نُقرت قبور الملوك فما زلنا نتابع السير الى ان بلغنا الى هيكل سيتي الاوّل في قرنة فزرناهُ وشاهدنا فيه ما يقرب من هياكل الكرنك والاقصر من حيث الشكل والاعمدة والتماثيل والنقوش وما اشبه وقد شوَّه الغزاة الفاتحون لمصر محاسن هذه النقوش عند حلولهم في تلك الحال السحيقة

ثم خرجنا من الهيكل وملنا الى اليمين ثم الى الشمال وسرنا قاصدين قبور الملوك ولم يكن الّا برهة حتى ولجنا وادياً قفراً بين جبلين لا تسمع فيه الّا دندنة الزنابير وخشخشة الخنافيش وعلى كتفيه صخور جرداء صهرت سطوحها اشعّة الشمس المحرقة وتلوح على محيا ذلك الوادي ملامح الكآبة والوحشة اذ لا ترى هناك الّا قليلاً من الشجيرات والانبتة الضئيلة حتى انهُ يخال لك لاوّل وهلة ان طيف الموت يظلّل تلك الامكنة ويتهدَّدها فيُذعر لمنظرها الناظر

وبعد ان قطعنا هذا الوادي القفر بلغنا قبور الملوك التي هي عبارة عن سراديب مقسمة منقورة في قلب الجبال وهي عديدة الّا ان اخطرها سبعة مدافن دُفن فيها رعمسيس الاوّل والثالث والسادس والتاسع ومنفتاح وسيتي الاوّل وعمينوفيس الثاني وقد انارت مصلحة الآثار هذه المدافن من الداخل بمصابيح كهربائية جعلتها آية في الحسن والبهاء ولو حاولنا ان نتكلم عن كل منها وعمّا فيها من النقوش والكتابات والتصاوير والاروقة والردهات والرسوم والرموز لطال بنا المجال واقتضى الامر مقالات ضافية الاذيال وانما نقتصر كلامنا على مدفن امينوفيس الثاني وهو ابدع تلك الآثار السبعة فنقول:

عثر على هذا المدفن الاثريُّ الشهير فيكتور لوره في سنة ١٨٩٨ ويُنحدر اليه على درج ذي مسالك وعر ينتهي الى بئر فوقها ممرٌ من خشب اذا اجتزتهُ بانت مقصورة تؤدّي بك الى قاعة لا نقوش فيها ولا كتابات ثم تجد سلّماً في الزاوية الشماليّة يفضي بالنازل منهُ الى رواق ذي تربة زلجة ثم الى قاعة تستند الى ست ركائز وفي وسطها حفرة عميقة وعلى الركائز الست رسم عمينوفيس الثاني ماثلاً امام آلهة الجحيم وعلى الجدران آيات ورموز من كتاب المصريين المعروف بكتاب الاموات واذا ما رفعتَ

تطرك الى السقف رأيته مزداناً بلون سمنجوني موشّى بنجوم صفراء تفتن الابصار

اما الحفرة فتحوي الناووس الملكي وهو من الحجر الصانع المحبّب الاحمر (الغرانيت) تحيط به المصابيح الكهربائية برونق يلقي في القلب اشد التأثير وترى في قلب الناووس جثة عمينوفيس الثاني مضجعاً تحفّ به مهابة الموت وحوله طاقات من الازهار وعلى الجثّة لفائف وعصابات من نسيج الكتّان الابيض ‧ وعلى اجنحة هذه الغرفة اربع غرف ايضاً اثنتان من الجهة اليمنى واثنتان من الجهة اليسرى اما الاوليان ففي احداهما ثلاث جثث محنّطة لم يتحقّقوا حتى الآن اسماء اصحابها ‧ اما الثانية فلم يُتَح بدخولها بعد وهي تتضمّن كما سبق تسع جثث ملوكيّة وضعت هناك صوناً لحرمتها من انتهاك اللصوص ومن هذه الجثث جثّة تحوتمس الرابع وعمينوفيس الثالث من فراعنة السلالة الثامنة عشرة وسيتاح وسيتي الثاني من السلالة التاسعة عشرة

وبعد ان انتهينا من زيارة هذه القبور الجليلة تركنا مدافن الملوك واخذنا بالتصعيد في الجبل من الجهة اليمنى نريد الدير البحري وما كدنا ندرك قمّته حتى تنفسنا الصعداء لانّ روحنا كانت قد بلغت التراقي من شدّة ما نالنا من التعب في تلك السراديب ثم سرّحنا رائد الطَّرْف فرأينا في سفح ذلك الجبل اخربة الدير البحري واطلاله ثم مرجاً خصباً يروق النظر توشّيه اشجار النخل المحلقة رؤوسها في الفضاء ‧ وفيه ينساب النيل كانسياب الحيات في السهول والحزون وما كانت الّا هنيهة حتى اخذنا بالانحدار الى الدير البحري وجعلنا نتفقد آثارهُ الجليلة

• هيكل الدير البحري (١

شيدت هذا الهيكل على افخر طرز الملكة هتشبست اخت تحوتمس الثالث وزوجته وشريكته في الملك وزانته بالنقوش والرسوم والزخارف والتماثيل والكتابات فجاء من افخم ما ابتناه الفراعنة من الهياكل والمعابد في تلك الاعصار الشاسعة ‧ على ان المدة التي ملكت فيها هتشبست هذه كانت قصيرة لان تحوتمس قرينها قد انزلها عن العرش لنزاع وقع بينهُ وبينها وما عتّم ان امر بطمس صورة وجهها وعزا الى نفسهِ

١) اطلب المشرق (٨ : ١٤٩)

ما تقشّنهُ من الكتابات والرسوم على جدران الهيكل المشار اليهِ. ثم طرأ على هذا الهيكل ما طرأ على غيرهِ من التغيرات والتقلبات في ايام الفراعنة الذين رقوا فيا بعد منصّة الملك

ولمّا انتشرت النصرانية في تلك الاصقاع قطن ذلك الهيكل طائفة من الرهبان بعد ان ازالوا ما فيهِ من الرسوم الوثنيّة والاصنام ومنذ ذاك التاريخ عُرف باسم الدير البحري لحلول الرهبان فيهِ ولوقوعهِ بجوار النيل . ولمّا انتهينا من زيارة هذا المعبد الجليل تناولنا هناك طعام الظهر ثم برحناه قاصدين هيكل رعمسيس الثاني

٦ هيكل رعمسيس الثاني

ادركنا هذا الهيكل الذي لا يبعد عن الدير البحري الأ رمية حجر وهو المعروف منذ شمبليون باسم رعمسيس (Ramesseum) فولجناهُ واخذنا نتفقد ما فيهِ من البقايا والاعمدة والتماثيل الهائلة (اطلب المشرق ٨ : ١٤٩) ولا مندوحة لنا عن ذكرِ شيءٍ من تاريخ هذا الهيكل العظيم فنقول:

لقد بنى هذا الهيكل رعمسيس الثاني الفاتح الشهير وافرغ كنانة جهده ليجعلهُ على شكل يفتن الابصار وخصصهُ للاله امون الذي كان متعبّداً لهُ الّا انّ ايدي الزمان قد عبثت بهِ واخنت عليهِ فافقدتنا افخر محاسنه ولم تُبقِ لنا الّا قسماً منهُ

وفي الهيكل المذكور تمثال هائل لهذا الفرعون وهو من الحجر الظرّاني السمّاقي الّا انهُ قد اصبح اليوم متفتتاً وترى اسم رعمسيس مرسوماً على ذراعي هذا التمثال وعلى قاعدته بالقلم الهيروغليفي . امّا طولهُ فيبلغ سبعةَ عشر متراً ونصف المتر على ما قالهُ رجال البعثة الافرنسية الذين تفقدوا آثار هذا الهيكل سنة ١٨٩٩ وقد قاسوا اعضاء التمثال المشار اليهِ فكان على ما يأتي:

	متر	سنتي
طول الاذن	١	٠٥
مسافة سطح الوجه من احدى الاذنين الى الثانية	٢	٠٨
مدى الصدر من احدى الكتفين الى الثانية	٧	١١٠
مدى سطح الكتفين من الواحدة الى الاخرى	٦	٨٤
قطر الذراع بين المرفق والكتف	١	٤٦
طول السبّابة	٠	

ما عدا القاعدة وطولها نحو اربعة امتار وكان على رأسه تاج سقط من زمن مديد وقد كان طوله لا يقلّ عن المتر ونيف كما قيل وهكذا يبلغ كل واحد من التمثالين المذكورين نحو ٢١ مترًا

ومن غريب ما رواه القدماء عن احد هذين التمثالين انه عند طلوع الفجر كان يُسمع له صوت رخيم فيزعمون انه يحيي به امّهُ (Eos) إيوس اي الفجر وقد اكتشفوا سرّ ذلك الصوت بهندسة لطيفة جعلها النقاش في تركيب التمثال وترى ما عدا الكتابات الهيروغليفية المرسومة على هذين التمثالين بعض كتابات يونانية نثرًا ونظمًا تُشير الى ذلك الحادث . ومن هناك رجعنا على الاعقاب الى مدينة الاقصر وتلك كانت ليلتنا الاخيرة فيها

٩ بين الاقصر واسوان

برحنا الاقصر قبل ظهر النهار الثاني وركبنا قطار الساعة العاشرة نريد اسوان فسار بنا على جناح البخار وكان تارةً يقترب من النيل فنراهُ بمياهه السنجوبيّة معنا على ضفتيهِ من البساتين الخضراء التي تبهج النظر وتثلج الصدر وطورًا يبتعد عنهُ فيحتجب النهر عن الابصار فلا نعود نرى اذ ذاك الّا اكمات وصحاري قفراء جدباء لا يُرى فيها ديّار ولا نافخ نار وما زال كذلك حتى بلغنا اسوان عصر النهار فدخلناها وتوجهنا توًا الى النزل

١٠ اسوان وآثارها

ان هذه المدينة قائمة على ضفة النيل الشرقيّة وهي في منتهى الجمال والبهاء وعدد سكّانها لا يقلّ عن الثلاثة عشر الفًا وما كدنا نطأ ارضها الّا وذهبنا بمعيّة احد الادلّة الى حيث المسلّة الكبرى فادركناها بعد برهة من الزمان واذا هي قطعة واحدة من الحجر الصّاقي يبلغ طولها ٢٨ مترًا في عرض ثلاثة امتار ونصف المتر عند قاعدتها ومعظمها مطمور بالرمال ولا يُعلم بالتمام تاريخ هذه المسلّة الشامخة ثم عدنا الى سهل يدعى سهل البشيريّة نسبة الى قبيلة من السودان قد ضربت فيها خيامها . ومن غريب عوائد تلك القبيلة انّ رجالها يرسلون شعور رؤوسهم المتشعثة الجعدة ويجعلونها بشكل جمّة ويسيرون مكشوفي الرؤوس ومنهم من يعتمُّ بعمّة بيضاء . امّا مآكل تلك القبيلة فألبان الماعز واللحوم النيئة . ومن هناك عدنا الى النزل وبتنا ليلتنا فيه

استيقظنا غلس يوم الاحد التالي وتوجهنا بادئ بدء الى كنيسة دير حضرة الآباء الافرنجيين حيث قمنا بالفروض الدينية ثم اكترينا الدواب قاصدين الشلال وجزيرة فيلة فسرنا وكنا نشاهد اثناء السير قنناً ومقالع من الحجر المانع المنسوب الى اسوان وكان قدماء المصريين يقتلعونه من مناجمه لبناء هياكلهم ونحت تماثيلهم ونرى في تلك المناجم بعض حجارة رُسمت عليها الكتابات بالقلم الهيروغليفي تؤذن بأنها نُقشت من عهد مديد وقد وسمها العلّامة دي مورغان بخطوط بيضاء منوهاً الى شأنها . ومما شاهدناه ايضاً في طريقنا سور من الآجر اقامه هناك فراعنة المملكة الوسطى ردءاً لغارات بدو الصحراء الشرقية يبلغ علوه اربعة امتار وهو يمتد الى الشلال ولم نكد ننتهي من هذه المسافة حتى رأينا الشلال وجزيرة فيلة بإزائنا

١١ جزيرة فيلة وهياكلها

سمّى القدماء هذه الجزيرة « درة مصر » لانها قائمة في كبد مياه النيل على صخور صوانية شفافة فاذا ما برزت الشمس من حجابها ورشقتها بنبالها الذهبية انجلت عن مشهد بهي يسحر العيون ويخلب الالباب . اما مساحة هذه الجزيرة فتبلغ ٤٦٠ متراً طولاً في عرض ١٥٠م وقد عبرنا اليها على زورق فادركناها وولجنا هياكلها وجعلنا نتأمل في آثارها وكتاباتها ورسومها واذا هي من ابدع ما شيدته ايدي الصنعة ولا تبرح رغماً عن طوارئ الحدثان تفصح عما كان عليه مشيدوها من العظمة والمجد

وقد توقلنا من بين تلك الهيا كل سلماً أدى بنا الى سطح عالٍ اشرفنا منه على الجزيرة كلها وضواحيها فاثر فينا اذ ذاك منظر نهر النيل الجاري بين تلك الاهاضيب والبطاح بينما كانت الريح تعصف وتهب والماء تخر فيسمع لخريرها حفيف لطيف يهيج الجوارح و يصيب شغاف القلب

اما تاريخ اول بناء شيد في تلك الجزيرة فيرتقي الى اقدم الازمنة الغابرة وقد اصبح اليوم اثراً بعد عين ومن هياكلها الباقية ما بُني في منتصف القرن الرابع قبل المسيح ومنها ما يرتقي الى عهد البطالسة وهو افخر هياكل تلك الجزيرة ثم احتلها الرومان بعد المسيح وابتنوا فيها بعض المعابد والمقاصير . وحظي مسيحيو الاعصار الاولى الكثيفة بتنصير اهل هذه الجزيرة البديعة فحولوا بعض معابدها الى هياكل للاله

الحق وادلّ دليل على ذلك اثار الصلبان المرسومة هناك على عدّة ابواب (راجع مقالة الاب ميشال جوليان في آثار النصرانيّة في هياكل مصر الوثنيّة في المشرق ٤:٣١٧)

ولمّا غزا القائد بونابرت البلاد المصريّة زحف بجيشهِ الى تلك الجزيرة ونقش على احد جدران ابنيتها تاريخ زحفتهِ. ومنذ بُني خزّان اسوان الذي سيأتي الكلام عنه اخذت امواه النيل المختزنة في ايام الفيضان تتهدّد تلك الجزيرة ومآثرها بالخراب وان لم تعمد مصلحة الآثار المصريّة الى وسائل فعّالة تقي تلك الهياكل من الدمار لطافت عليها المياه يوماً وتقوّضت اركانها وافقدتنا ابهى ما وُجد من الآثار المصريّة (اطلب صورة هذه الجزيرة في المشرق ٧:٥٥٢)

ثم زايلنا درّة مصر هذه واستأنفنا ركوب الزورق الذي كان بانتظارنا فسرنا نمخر مياه النيل قاصدين الخزّان وقد وقع بصرنا خلال السير على بعض صخور من الظران تغمرها المياه ويُرى على واحدة منها اسم الفرعون بساماتيك الثاني مرسوماً بالخط الهيروغليفي والمسافة في النيل بين جزيرة فيلة والخزان لا تتجاوز العشرين دقيقة

١٢ الخزّان (١

بلغنا هذا السدّ العظيم المبني باصلب حجارة الصوّان والبالغ طوله ١٩٧٠ متراً وارتفاعه ٤٠ م وعرضه ٧ امتار فتطمناه كله على عجلة وكذا اثناء ذلك نشخص الى الجهة التي تتفجر منها المياه من العيون فتراها ترغي وتزبد وصداها يتردّد في ذلك الوادي وقطراتها تتطاير متناثرةً في الجوّ وربّما شعرتَ بان طلّاً يقطر عليك فلا تلبث ان تحسّ بنفحة من البرد واذا ما ادرتَ لحاظك الى ضفّتي النيل رأيت هناك جواسق لطيفة البناء تحدق بها الحدائق الغنّاء كما تحدق الهالة بالقمر والسوار بالمعصم فيأخذ منظرها بمجامع الصدور وتبتسم له الثغور

١٣_ جزيرة اليفنتين

ثم عطفنا على ادراجنا راجعين الى اسوان حيث تناولنا الطعام واخذنا نصيباً من الراحة ثم ركبنا زورقاً شراعياً قصد ترويح النفس في مياه النيل فسار بنا يشقّ عباب المياه على شكل نصف حلقة الى ان بلغنا جزيرة اليفنتين فصعدنا اليها وطفنا اولًا في رياضها

١) اطلب في المشرق (٦:١ و٦٧) مقالة مسهبة في وصف اسداد النيل وخزّان اسوان لحضرة الاب دي فراجيل اليسوعي

الفيحاء. ثم عمدنا الى زيارة مقياسها للنيل الذي يُنحدَر اليه من درج وعلى جدرانه كتابات يونانية اتلف مُعظَمها اهل الدول الفاتحة ايّام دخول تلك الجهات في حوزتهم

امّا الخطوط المرسومة ثمّة لمعرفة ارتفاع المياه وهبوطها فهي بصورة اذرع يونانية ولقد مرَّ على هذا القياس عدة قرون حتى كاد الدهر يتلفهُ فاعاده الى رونقه محمود بك في عهد الخديوي اسماعيل باشا كما تشهد على ذلك الكتابات الفرنسوية والعربية المنقوشة هناك

وفي تلك الجزيرة بعض الآثار والاخربة والكتابات لم يسمح لنا الوقت بمشاهدتها لتسريح النظر في نقوشها. وفيها قد اكتُشفت تلك الكتابات الآرامية العجيبة التي وصفها المشرق (١١: ٥١ و١١٨) المنبئة باحوال بني اسرائيل في مصر على عهد ملوك الفرس والمؤيدة للاسفار المقدّسة. والحقُّ يقال انّ كل الاكتشافات الحديثة في مصر قد اتت في عهدنا منتصرةً للوحي فانَّ فيها ما يذلّل المصاب ويمهد السبيل لفهم تاريخ شعب الله الذي اقام في ارض الفراعنة نيف واربعة قرون كما جاء في الكتاب العزيز: «وكان مقام بني اسرائيل الذي اقاموه بمصر * اربعمائة وثلاثين سنة» (خروج ١٢: ٤٠)

الرشيد والبرامكة

رواية تاريخية نثرية ذات خمسة فصول يتخللها شعر قديم

بقلم الاب انطون ربّاط اليسوعي (تابع الفصل الثاني)

المشهد الخامس

الرشيد . جعفر . الفضل

جعفر — ان راق يا عين امير المؤمنين حدثتُهُ بأمر ظريف

الرشيد — هاتِ

جعفر — جلست امس للشراب مع ندماء آنسُ بهم ولبسنا الثياب المصبغة كعادتنا وامرت خادمي بأمر ألّا يأذن إلّا لعبد الملك بن صالح السامر. فلمّا دارت

الكاسات اذا بعبد الملك بن صالح العباسي حضر على الباب. فاشتبه على الحاجب بطريق اشتباه الاسم فأذن له فجاءنا

الرشيد يا لله. ان عمي شديد الوقار. فما فعلت ؟

جعفر لقد كاد عقلي يذهب من الحياء. ففطن للقصّة عبد الملك فاراد ان يرفع خجلنا بمشاركتنا فجلس وشرب

الرشيد احسنَ واللهِ احسنَ. وبعدُ ؟

جعفر خاطبني في حوائج له

الرشيد مقضية

جعفر قال: إن امير المؤمنين عليّ غاضب فسَلْهُ الرضى

الرشيد رضيتُ

جعفر وقال عليّ دين...

الرشيد يا غلام إحمل الى عمي ألفَ ألفِ درهم

جعفر وقال: وابني ابرهيم أريد ان تخفق على رأسه الالوية وتزوّجه بابنة الخليفة ابنة عمه

الرشيد يا غلام الرمحَ لاعقد له على امارة الديلم (يأتي برمح فيعقد عليه رايةً) وقد زوّجتهُ بعلية ابنتي فأحضرْ القضاة والشهود (١

جعفر جزاك الله خيرًا]. واما الان فاسألك ان توسع لي بالسير الى خراسان كما وعدتني حيث وليتني عليها وعلى الشام ومصر

الرشيد (وهو يفكّ اختام الرسائل) ألا تزالُ يا جعفر تبخل علينا بالمنادمة وترغب عنا ؟ ألا ترانا اهلًا للمسامرة ؟

جعفر حاشا العبد ان يخالج فكرهُ هذا الامر. لكن النفس أمّارةٌ بالتبدّل

الرشيد ومن يرافقك من الندماء ؟

جعفر أنس ابن ابي شيخ

الرشيد ومن ذا ؟

---

١) العقد الفريد لابن عبد ربّه (١: ٦٦) والفخري (٢٨٣) وابن خلكان (١: ١٣١)

جعفر رجلٌ فاضل ذو دين وعلم قرأ القرآن والتوراة والانجيل وحفظها احسن حفظ

الفضل أعلمتُ أنهُ زنديقٌ مارقٌ عن الدين

جعفر لعنَ اللهُ مَن افترى على أنسٍ كذباً فانهُ مؤمن بكل ما انزل الله على انبيائهِ حافظاً لشرائعهِ عزَّ وجلَّ (١

الرشيد إذن لا بُدَّ من ذهابك

جعفر ان سرَّح لي امير المؤمنين

الرشيد سآسف لفراقك يا جعفر فاذكرني في سفرك وعُـد اليَّ عاجلاً — رسالة من زعيم الروم. (للفضل) اقرأ

جعفر هي لا شكَّ نبأ بارسال الجزية

الفضل من نقفور ملك الروم الى الرشيد ملك العرب امَّا بعدُ فانَّ الملكة إريني وضعتك موضع الملوك ووضعت نفسها موضع السُّوَق فاني واضعك بغير ذلك الموضع وعامل على تطرّق بلادك والهجوم على أمصارك او تؤدي اليَّ مـا كانت المرأة تؤدي اليك والسلام (٢

الرشيد أوَنكث زعيم الروم بالعهد. سرْ اليهم يا جعفر فتوغَّل بلادهم ومثّل فيهم حتى يستحرَّ بهم القتل ويحدق بهم الموت ويحيط بهم البلاء. ثم ابعث الى حُميد بن مَعْيوف امير البحر بسواحل الشام ومصر فليسر بأساطيلنا الى بلاد الروم فيخرب ويسبي ويمثّل ويعفّي الآثار (٣ وانا ملحق بك جيشي النسل (٤

---

١) كان أنسٌ كاتباً لجعفر . ذكر بعضهم ان عبد الله بن مصعب كان على خبر الناس للرشيد فكان اخبرهُ عن أنس أنهُ على الزندقة وأنهُ من اصحاب البرامكة فقتلهُ . اطلب المسعودي (مروج الذهب ٦ : ٢٦٦ و٢٩٥) والطبري (٣ : ٦٨١) والاربلي (١٠٦)

٢) الطبري (٦٩٥) والمجاني (٥ : ٢١٧) وشرح المجاني (٦١٩)

٣) قال الطبري (٧٠٩) وابن الاثير (سنة ١٨٧) ولَّى الرشيدُ حُمَيدَ بن مَعْيوف سواحل بحر الشام الى مصر فبلغ حُمَيدٌ قبرسَ فهدم وحرق وسبى من اهلها ستةَ عشرَ الفاً فاقدمهم الرافقة فتولى بيعهم ابو البَختري القاضي فبلغ اسقف قبرس الفَي دينار

٤) في الاغاني (٢٠ : ٦٤) انهُ كان للرشيد خدمٌ صغار يسمّوهم « النسل » يتقدمونهُ وبايديهم قسي البندق يرمون بها من يعارضهُ في طريقه

تجمعهم الى الجنود الأعاجم والى الفرق العباسية (١

جعفر نقض الذي أعطاكه تغور فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فانه فتح أتاك به الإله كبير (٢

الرشيد بحول الله — رسالة من خراسان (يقرأ): « وبلاد الشام لا تزال نائرة الفتنة والثورات مشتعلة فيها لسبب قوم يدعون خلافة العلويين » فحتى م اصبر يا بني علي والله لأقتلنكم ولأبددن شيعتكم ولأفعلن

جعفر طب قلباً فسوف لا آلو جهداً في إطفاء نار الفتنة عن طريقي (٣

الفضل (يقرأ): « يا امير المؤمنين انك تربي حية في حجرك فان تمكنت نفثت فيك سمها والسلام »

الرشيد لا ارى اسم صاحب الرسالة

جعفر خط اندلسي

الفضل لا شك انه من عبيد الخليفة المخلصين

الرشيد ما شان اضطرابك يا فضل ؟

الفضل كيف لا اضطرب وأرى الخليفة في خطر.

جعفر سيدي ان جنودك جمة وكتائبك مظفرة وثغور بلادك امينة . فمن يتجرأ ان يدخل عليك كيداً ؟

الفضل لا فائدة من سد الثغور وحشد الكتائب فان العدو بظهرانينا

الرشيد ومن هو ؟

الفضل إن أمنني امير المؤمنين اظهرت له الحقيقة

الرشيد قل لا خوف عليك

الفضل يعلم الله ما ضمته السرائر ان ليست غايتي إلا اخلاص الخدمة للخليفة والذود عن حياته وسلطانه . فالحية التي تنفث عن قريب سمها في الاسلام

---

١) اخبر الطبري (٣ : ٦٣١) والبلاوي (٥٢) أن الفضل البرمكي اتخذ بخراسان جنداً من العجم سماهم العباسية بلغت عدتهم خمسمائة الف رجل
٢) الطبري (٦٦٥) والاغاني (١٢ : ٤٥) والسيوطي في تاريخ الخلفاء (١١٣) الخ
٣) الطبري (٦٢٥ و ٦٢٦) والبلاوي

قد عرفها الوزير جعفر صديق امير المؤمنين ومُحبُّه حقّ المعرفة

جعفر اخرج عن كلامك. ولو كان ابني لسفكت الساعة دمهُ بيدي

الفضل ليس لك بابن ولا قريب

الرشيد ومن ذا إذن لا أمَّ لك ؟

الفضل يحيى بن عبدالله العلويّ

جعفر كذبتَ

الرشيد لا حول ولا قوّةَ إلّا بالله. وما حدث بالعلوي ؟

جعفر لا يزال في القيود والضيق

الرشيد مجانبي ؟ (سكوت) (١

جعفر لا وحياتك قد اتخذته لي ضيفاً. هو يا امير المؤمنين شيخٌ ذو عقلٍ كاملٍ وورعٍ وفضلٍ. أقيل قد زهد في السُّفليات يواصل الصلاة اناء الليل واطراف النهار

الفضل وقد قيل إنَّ له بنين

جعفر ألم يأمر امير المؤمنين بقتلهم عن آخرهم ؟

الفضل وعلى كل حال إن فسح لي امير المؤمنين بالكلام ووعاهُ عنّي فهو حقيق بذلك وإن هو اباه فقد بلغت ما يلزمني وخرجت عن لوم يلحقني

الرشيد تكلَّم

الفضل انَّ الحكمة تقضي باستئصال الشرّ ولا إخال جعفراً يخالفني في هذا

جعفر وما مرادك ؟

الفضل يأمر امير المؤمنين الوزيرَ جعفراً ان يقتل العلويّ قبل سفره لخراسان

جعفر وما ذنبهُ ؟ رجلٌ كريم اعطاه الرشيد الامانَ وأشهد على نفسه مشايخ بني هاشم وامراء الدولة وعظماءها

الفضل انهُ عازم على فتح باب الفتنة وكسر قيد المعصية

جعفر كذبتَ ومكرتَ فلم يحدث حدثًا

---

١) الطبري (٣: ٦٦٩) والفخري (٢٨٨) والبلاوي (٨٦) والاغاني (١٧: ٤٢)

الفضل ولِمَ يدافع الوزير عن رجلٍ غريبٍ لا علاقةَ له معه ؟

جعفر انَّ الوزير يُدافع عن دمٍ زكيٍّ بريءٍ اردت انت ان تُهرِقهُ ظلماً وجوراً

الرشيد كُفّا عن الجدال فاني يا جعفر عالمٌ بصدق سريرتك وبرّ خدمتك فقد عهدتُ امر العلوي اليك فتحفَّظ عليه حتى نرى في امرهِ . واذهبْ فاستعدّ لسفرك . لقد أخّرناك عن وداع ذويك ووافِنا غداً صباحاً

جعفر نعم سيدي (يخرج)

المشهد السادس

الفضل . الرشيد

الفضل (على حدة) عاد الرشيد الى ضَعفهِ . ما الحيلةُ ؟! (يُخرج من جيبهِ رقعة)

الرشيد ما الذي بيدك ؟ (يأخذ منهُ الورقة و يقرأ)

قل لأمينِ الله في ارضهِ　　ومن اليهِ الحلُّ والعقدُ (١

هذا ابنُ يحيى قد غدا مالكاً　　مثلك ما بينكما حدُّ

امرك مردودٌ الى امرهِ　　وامرهُ ليس لـهُ ردُّ

وقد بنى الدار التي ما بنى م　　الفرسُ لها مثلاً ولا الهندُ

فالدرُّ والياقوتُ حصباؤُها　　وتربهـا العنبرُ والندُّ

ونحنُ نخشى انهُ وارثٌ　　ملكك ان غيّبك اللحدُ

ولن يُباهي العبدُ سيّدهُ　　إلّا اذا ما بطرَ العبدُ (٢

(سكوت) ويحك . لمن هذه الابيات ؟

الفضل لا ادري . شعرٌ يتداولهُ الكبير والصغير ويتناشدهُ الصبيانُ والملّاحونَ على دجلة

الرشيد إذن اصبحتُ ألعوبةً وسخريّةً على ألسنة العامّة

الفضل هذا ما يقولهُ اهل الدولة (سكوت . الرشيد ينكت الارض بقضيب كما اعتاد ساعة القلق) (٣

---

١) يقرأ بعض هذه الابيات بصوت منخفض

٢) ابن خلكان (١ : ١٢٤)　　٣) الاتليدي (١٧٢)

الفضل ليت هنداً أنجزتنا ما تعد واستبدت مرةً واحدة
انما العاجز من لا يستبدّ (١

الرشيد والله اني لعاجز

الفضل عاجز عاجز وانت امير المؤمنين وخليفة رسول العالمين اصبحت عبداً يُقاد عنوة. انظر الى الجانب الآخر ترى دارهم تتحركُ فيها الخيول وتزدحم الناس

الرشيد تصدّوا للامور وأراحوني من الكدّ ووفّروا اوقاتي على اللذة

الفضل بل استبدّوا بالامور دونك فالخلافة بالحقيقة لهم وليس لك منها الّا اسمُها

الرشيد قد يكون الصواب (٢

الفضل انظر الى دارهم الجديدة. أنفقوا عليها عشرين الف الف بنوها امام قصرك يباهونك ويبارونك. اذكر ما رأيناهُ ليلةَ امس عندهم من خزائن الاموال والحلى والحُلل والفرش والأواني والامتعة والجواري والخدم التي لا يوجد مثلها في قصر الرشيد (٣ (بتهكم) وقد وهبتَهم خراجَ مصر لا شكّ ليصلحوا بهِ احوالهم

الرشيد صدقتَ

الفضل لقد حجبوا واياك فأعطوا كما أعطيتَ كأنهم اصحاب الخلافة ومُدحوا ولم تُمدح. أنسيتَ ما قيل فيهم ؟ :

أتانا بنو الآمال من آل برمكٍ فيا طيبَ اخبارٍ ويا حُسنَ منظرِ
اذا نزلوا بطحاء مكّة أشرقت بيحيى وبالفضل ابن يحيى وجعفرِ
فما خُلقت الّا لجودٍ اكفُّهم وأقدامهم الّا لأعوادِ منبرِ (٤

ذكر الشاعر ما تخلّقوا بهِ من المحاسن. والقى سترَ النسيان على مآثر ومناقب خليفتهم وسيّدهم

الرشيد هو هذا

الفضل قد رأيتَ عند عودتك ما لهم من الضياع العامرة بالمواشي والغلال ؛ أوَ هل

---

١) ابن خلدون (في الترجمة) ٢) الفخري (٢٨٧)
٣) الميلاوي (٨٦) والاتليدي (١٦٧) والاغاني (١١: ٥٤)
٤) الفخري (٢٧٥) والمسعودي (٦: ٢٢٢) وابن خلكان (٢: ٢٢٢)

تعرفُ لاولادك ضيعة مثل ضيع البرامكة على طريق واحد ؟ فكيف بما هو لهم غير ذلك في سائر البلدان ؟

الرشيد لقد اقنيناهم وأفقرنا اولادنا ١)

الفضل لقد استبدُّوا على الدولة واحتجنوا اموال الجباية وتخطَّت اليهم من اقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء وتسرَّبت الى خزائنهم في سبيل التزلّف والاستمالة اموال الرعيَّة يبذرونها إسرافاً على الشعراء والمغنين ٢)

الرشيد وانا اطلب القليل من المال فلا تصل اليه يدي ٣)

الفضل ها هم ذاهبون الى منازلهم انظر الى هذا الموكب موكب جعفر وابيه والجموع حولهما يُلقيان بالصرر يميناً وشمالاً كعادتهما ليستعبدا بذلك احرار عبيدك ٤)

الرشيد وانا اسير في شرذمة يسيرة وهذا المال مال المؤمنين

الفضل أنسيت ما سمعتهُ من الانشاد ؟ لقد مُدحوا بما لم يُمدح به خليفتهم على مسمع ومرأى منهُ لا يبالون به . حتى عبدالله المأمون قد قام خطيباً على رؤوس المشايخ والامراء يُطرىْ البرامكة ويفضّلهم على من سواهم لا يستثني عن ذلك اميرَ المؤمنين سيّده واباه . وما هذا الّا باغراء يحيي وجعفر

الرشيد لقد وضعتُهُ في حجر جعفر رجاء منّي بتثقيف اخلاقهِ ٥) وحضّهِ على التعلّق بآل هاشم فعاد سهمي خاسراً

الفضل ومما زاد البليَّة ما سمعتهُ الساعة بشأن العلوي

الرشيد لا خوف من الاسر ما زال في القيود تحت قبضتي

الفضل وان سرَّح لهُ البرامكة بالذهاب حيث شاء !

الرشيد ان سرَّحوا له لافعلنَّ بهم وامثلنَّ . لكن لا يتجرأون على مخالفتي

الفضل هيهات . ألم تأمر مراراً بقتلهِ ؟ وهو لا يزال حيًّا . الم تتقدم الى جعفر ان يضيّق عليهِ ؟ وقد جعلهُ ضيفاً له كريماً احضره امس مجلس طربه

الرشيد رأيتُهُ . لكن لا يتجرأُ البرامكة على ذلك

الفضل قد لستفحل الامر ونحن جاهلون واذا تأخرتَ يوماً زلزلك البرامكة عن عزّك

---

١) الاتليدي (١٦٦) ٢) الفخري (٢٨٨) وابن خلدون (في التوطئة)
٣) المسعودي (٦ : ٣٦٣) ٤) الفخري (٢٧٥) ٥) الطبري (٦٤٧) والبلاوي (٦٧)

وسلطانك ومكّنوا العلوي من الخلافة

الرشيد: اخرج من كلامك ثكلتك امك

الفضل: غدًا صباحًا سيطلقون سبيل العلويّ وقد تقدّمهُ عبدالله وجعفر تابعهُ الى خراسان للدعوة وهذه رسالة جعفر الى الفضل اخيه بخراسان يوصيه بالعلوي (يخرج رسالةً ويقدّمها للخليفة)

الرشيد: هو خط جعفر وختم الوزير. يا جعفر ما كان هذا العهد بك

الفضل: قد خالف القلبُ اللسان فانطوى الصدر على غيظٍ جعلوا لين الكلام عليها سترًا رجاء ان يدافعوا الأيام بالتاخير فيدكّوا دولة العباس ويكسروا شوكة الرشيد ويرموا به في الذلّ وهو من قولهم في حال غرة قد قرّ لها وسكن اليها

الرشيد: يا جعفر ما كافأتني ولا عرفتَ حقي

الفضل: ان الحاحهم بارسال الوفود الى زعيم الفرنج كان لغاياتٍ اضمروها ولا شكَّ ان جراة نقفور ليست الا مكيدة من مكائدهم

الرشيد: (يقف) ايكون هذا جزائي ممّن ائتمنتُهم على مالي وملكي وروحي؟ ايكون البرامكة الدُّ الاعداء لي؟ ينقضون مواثيق العهود ويفتحون باب الفتن والمعاصي. لقد طالما صبرت عليكم فكأنكم لا تزالون تجمحون في الغشّ والغواية وتتمادون في المكر والخيانة فوحقّ تربة المهدي لأُفنانّ اليوم بكم ولأُضنينّ فاجعلنكم عظة للعالمين يتحدث بكم الخالف بعد السالف

الفضل: سكّن الجأشَ سيدي لن مرام الظفر بالحيلة والقتال بالحيلة أنفذ من القتال بظبات السيوف وأسنّة الرماح لاسيما وان البرامكة قد ملأوا الدواوين وتملّكوا على اصول الدولة وفروعها فلهم تُذعنُ الجيوش ولقولهم يطأطئ الامراء الرؤوس. فان جاهرتهم بالعداوة جاهروك بها فكان الخطب وخيم العاقبة

الرشيد: ما هذه الحال التي تُنذر بالبوار؟ انا الرشيد أصبحتُ عبدًا لأذلّ عبيدي. انا الخليفة أكون العوبة في ايدي قوم أنذال فلا استطيع إنجاز اوامري الا كنت فريسة الفتن والثورات. فبئس الملك اسمًا بلا مسمّى. بئس الخلافة التي اغراني عليها يحيى يوم عزم الهادي على خلعي. فلولاها لعشتُ سعيدًا كريمًا ومتُّ

شريفاً لا ذليلا

الفضل يا امير المؤمنين انت السيد إن اردت ان تكون سيّداً .

الرشيد ما السبيل الى ذلك ؟ ما العمل ؟ ما رأيك ؟

الفضل الرأي عندي ان تتدارك ما تفاقم من الامر باقرب زمان

الرشيد وكيف ذلك ؟

الفضل اقتُل العلوي اولًا فتستأصل ما عزموا على بنائهِ ثم نرى سبيلًا للخلاص منهم

الرشيد انا ادعو العلويّ وآمرُ بقتلهِ جهراً . ان نفسي لا تطاوعني على ذلك وقد كتبت له اماناً بخطّي وأشهدتُ عليَّ ارباب الدولة (١ أتريد يا فضل ان يعزوَ المؤمنون الى خليفتهم الغدر فأضحي سبَّةً في افواه الناس تسلقني ألسنةُ العار وتتناشني نصال الشنار . لا لا ان نفسي لا تطاوعني على هذا !

الفضل فكرٌ خالجَ لبّي . ان يُقتل العلويّ غيلةً ذلك أخفى لسرّك وأصون لعرضك

الرشيد وكيف ؟

الفضل لو دُسَّ بعض خدم الخليفة فدخل مخدع العلويّ الليلةَ فقتلهُ سراً . فان نجح فاز الرشيد بالمراد ولم يخفر ذمّتهُ والقى على البرامكة عاقبة الامر فاشتهر أنَّ البرامكة قتلوا ابن ابي طالب فضعف حبُّهم في قلوب أشياعهم واصحابهم . وان زاغ سهمُ القاتل ذهب الضارب ضحيّةً جرأتهِ وامير المؤمنين بريء من الامر (سكوت)

الرشيد ولكن من يقدِم على هذا ولا ارى حولي ألّا قوماً غششة . انت وحدك لي صديق حميم مخلص المودّة والخدمة قد اخترتُك لهذا الخطب ثقةً بك . اذهب واقتل العلوي سراً (٢

الفضل سيدي .

---

١) الطبري (٦١٤) والميلاوي (٥٢) وسائر المؤرخين

٢) هكذا فعل المنصور مع عيسى بن موسى (المسعودي ٦ : ٢١٤) والرشيد مع موسى بن جعفر العلويّ فحبسهُ في دار السنديّ بن شاهك ثم قتله سرًا وأدخل عليهِ جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه إظهارًا أنهُ مات حتف أنفه (في الفخري ٢٦٨) والمأمون مع الفضل بن سهل دسّ جماعة قتلوهُ في الحمّام ثم قدّمهم ليضرب اعناقهم فقالوا لهُ : انت امرتنا بذلك ثم قتلنا (في الفخري ٣٠٠) وامثالها كثيرة في تاريخ العباسيين

الرشيد هذا سيفي ذو الفقار اتقلّدهُ في الحفلات (١ قتل بهِ عليٌّ اعداء الله فبحسن اروائهِ اليوم بدم اعداء بني العباس

المشهد السابع

الرشيد . الفضل . المأمون . جعفر . جبريل

المأمون أبتِ

الرشيد انت هنا ؟ لماذا عدتَ ؟

المأمون قد اخذتُ امس على نفسي ان أطلق ساعةَ البايعة احد المسجونين

الرشيد حسن . اذهب وفكَّ قيودهُ

الفضل ومن هو ؟

المأمون شيخٌ جليلٌ اقتابه الماكرون فحُبس ظلماً

الفضل وما اسم الرجل ؟

المأمون يحيي بن عبدالله العلويّ (لجعفر) اليس هذا اسمهُ ؟ رأيتهُ امس في مقتل جعفر فحزنت لحالهِ ووعدتهُ بالخلاص القريب

الرشيد يا لله !

المأمون شكراً لك ابتِ

جعفر جزاكَ الله خيراً يا اميرَ المؤمنين

المأمون سأطلقهُ الانَ فيدعو لك

الفضل سمعتَ يا اميرَ المؤمنين

الرشيد (الى المأمون) دعْ عنك ذلك فقد وكَلتُ الفضل بن الربيع بإطلاقهِ غداً

جعفر غداً . غداً . ما اطولَ الليل

المأمون تعالَ يا جعفر نعلم الوزير

الرشيد وانت يا فضل أنجز ما امرتك بهِ (يخرج)

جبريل (على حدة) قد خالف القلب اللسان (يخرج)

(١ ابن الاثير (٥ : ٢٢١)

المشهد الثامن

الفضل . مسرور

الفضل غداً . غداً . بئس الظنُّ ظنُّك يا صاحب البرامكة (يُشير الى المأمون)
مسرور ماذا تصنع ؟
الفضل قد نجح مسعانا . تعالَ أُعلمك (تمَّ الفصل الثاني)

الآداب العربيّة
في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تتمّة)

أُدباء النصارى في ختام القرن التاسع عشر (تتمّة)

ولأمين الشميّل أخوان آخران ضارعاهُ عقلًا وذكاءً الواحد منهما ملحم كان ايضًا عالمًا وشارك اخاهُ في اعمالهِ التجاريّة وآدابهِ توفي في ١٧ شباط سنة ١٨٨٥ اي سنة وفاة نجلي امين فقال الشيخ خليل اليازجي مؤرخًا وفاتهُ :

يا مُلحمًا جرحت سهامُ مُصابهِ منّا القلوبَ جراحةً لا تُلحَمُ
اسكرتَ عند البَيْنِ آل شميّلٍ بشمولِ حزنٍ ليس يرشفها الفمُ
للمجد والعليا عليك مناحةٌ وكذا، فنٌ في المعارفِ مأتمُ
غادرتَ مجدكَ واستويتَ من العُلى أرّخ لدى المجد الذي هو اعظمُ (١٨٨٥)

ولد مُلحم في ٥ نيسان سنة ١٨٢٦ وتقلّب في مناصب التعليم فالتجارة فالسياسة حتى ادركتهُ الوفاة. ومارس الطبَّ مدّة على الطريقة الاختباريّة القديمة. ومن آثارهِ الادبيّة ارجوزة وضعها في علم الجبر والمقابلة ومقدّمة طويلة على علم الحساب وكان شاعرًا مجيدًا له عدّة قصائد منها واحدة مدح فيها الخديوي اسماعيل باشا ورثى كريمتهُ زينب هانم بمرثاة افتتحها بقولهِ:

يوسعُ القلبَ صاحبُ الحزم صبرا يوم بينٍ يجرّعُ الصبُّ صبرا
وحكيمٌ من يزدري بحياةٍ كلَّ يومٍ تزداد بالطول قصرا

وفي آخر عمرهِ دخل ماجم حكومة لبنان وخدم وطنهُ الى سنة وفاتهِ

اما الاخ الآخر فهو الدكتور شبلي شُميّل الشهير بكتاباتهِ ويسوءُنا ان نراهُ في عداد الماديين للدين فشتّان بينهُ وبين اخيهِ امين الذي هو القائل في العزّة الالهيَّة وفي نفس الانسان الناطق:

هو المهيمنُ والاكوانُ صاغرةٌ ... تجثو لقدرتهِ العليا وترتعدُ
هو العزيزُ هو الباقي بقوّتهِ ... هو الرحيمُ هو المحيي هو الصَمَدُ
يا مُبدعَ الكلّ هل في ذاك من امدٍ ... يُبنى لديك وماذا يا ترى الأمدُ
انتَ الكريمُ وتُعطي ما تشاء كما ... تشاء من بحرِ جودٍ نَبعهُ الزَبَدُ
نفخت في منخرَي هذا المركَّب من ... طين فأصبح ذا نفس بها البَدَدُ
هل تالت المُجمّ نفساً لا تموتُ كما ... قلنا والّا فما البرهانُ والسَنَدُ
النفسُ من عالمِ الارواحِ لا عَرَضٌ ... يفنى ولا كائنٌ ينحلُّ او جسدُ
فارحب بها مُلكاً من فضل واهبها ... تنَلْ بها مُلكاً كرسيُّهُ الأبَدُ
وهبتَها لك تمييزاً وقد ظهرت ... نوراً فكن مؤمناً وبلٌ لمن جحدوا

ولامين شميّل قصائد متفرّقة لم تجمع نُشرت في مجلّات شتى كقصيدة كنز المُنى في المقتطف (١٨٨٥ ص ٩٨) وكقصيدتهِ الشرعيَّة في الجنان (١٨٨٥ ص ٢٢٨) وغير ذلك ممَّا اخذتهُ يد الضياع

(حنّا بك اسعد الصعب) من اسرة المشايخ الموارنة ابي الصعب الشهيرين بنواحي البترون. كان ابوهُ سرعسكر الامير بشير الشهابي الكبير فنشأ صغيراً على التُقى وحبّ الآداب فاتّخذهُ الامير في خدمتهِ فتعلّم العلوم اللسانيَّة وبرع في الخطّ العربي حتى ضُرب المثل في خطّهِ البديع. ولمَّا سار الامير بشير الى مالطة اختار المترجمَ بصفة كاتب لاسرارهِ فرافقهُ الى تلك الجزيرة ثم الى الاستانة العليَّة وانتهز ثمَّ الفرصة ليتعلّم عدَّة لغات كالايطاليَّة والفرنسويَّة والتركيَّة ودرس الفنون العصريَّة حتى اصاب لهُ شهرةً واسعة. ولمَّا عاد الى وطنهِ انتدبتهُ الحكومة الى خدمتها فخدمها في عدَّة مناصب جليلة مدَّة اربعين سنة وكان اوَّل من حاز لقب البك بين نصارى لبنان وبرّ الشام. توفي في اواسط سنة ١٨٦٦ ولحنّا بك الصعب رسالات وشروح لم تُطبع ولهُ شعر كثير تفنّن فيهِ واجاد وقد جمعهُ في ديوان واسع طُبع في مطبعتنا سنة ١٨٩٣ وفي صدرهِ صورة ناظمهِ. وقد ختمهُ بقصائد تركيَّة تشهد على حسن قريحتهِ في اللغة العثمانيَّة وفي شعرهِ منظومات متعدّدة تفيد تاريخ لبنان من السنة ١٨٥٠ الى السنة ١٨٩٠ فمن ذلك قولهُ مهنّئاً دولة رستم

باشا عند قدومه الى لبنان سنة ١٨٧٣ بقصيدة هذا مطلعها:

ما بالُ لبنانَ يُبدي النُّورَ أنوارا   هل وجهُ رُستمَ اهدى النُّور انوارا
او تلك ألطافهُ الحسناء مُذ لمتْ   ازاحتِ الشمسَ للتنوير استارا

الى ان قال:

حُيِّيتَ لبنانُ كُنْ باللهِ مُعتصماً   وكُنْ شكورًا بحمد الله مكثارا
ما قد أتى السرُّ والاقبال يسعدهُ   والضرُّ غاب مع الشقاء قد طارا
ضاءت منازلنا لاحت بيارقنا   طابت حدائقنا عَرْفًا وأثمارا
جادت عابرنا زادت عنابرنا   تاقت منابرنا سجعًا وأشعارا
حسَّنتنا سُنَنًا كمَّلتنا سُنَنًا   نوَّلتنا مِنَنًا شيَّدت امصارا
مكَّنتَ عرَّستنا طيَّبت اروِّسنا   خوَّلت أنفسنا بالخلدِ أخدارا
لا زلتَ يا علمُ تجثو لك أُمَمُ   سيفٌ كذا قلمٌ مُلِّكتَ احرارا

وكان قال سابقًا لمَّا تعيَّن داود باشا اوَّل متصرِّف نصرانيّ على لبنان:

قد البُشرى لقد نلنا انتصارا   وزدنا في سرور لن يُبارى
مليكنا قد حبا لبنان قدرًا   وخوَّلهُ مقامًا واقتدارا
بوالٍ من بني عيسى وزيرٌ   وهذا الفخرُ وافانا ابتكارا
شدا باليمن تاريخ بفخرٍ   وزيرٌ جاء نصرًا للنصارى (١٨٦٣)

ولهُ من قصيدة يوبّخ فيها الخاطئ ويستدعيهِ الى التوبة:

ألا أرفِقْ بنفسٍ انْ كل تناهى   لديها بذي الدنيا اخسُّ الحسيسة
أأنت عدوُّ النفس ام انت خِدْنها   فمن شيمة الاخوان صونُ الخديئة
اراك بلا الاشفاق تبني عذابها   وترمقها شذرًا بعين غضوبة
فلو شامت الاعداء ما انت فاعلٌ   لرثت لها رُحمًا ورأتهُ رقّة
أتجهلُ ما للنفس من هولِ موقفٍ   امام العلي الديَّانِ في كلّ رهبة
وفيهِ لإعلان الخفايا مظاهرٌ   على مشهد الابصار من كل حدقة
صحائفها مفتوحةٌ اذ تُرى بها   ذنوبٌ ولم يُترك بها قدرُ ذرّة
فدِّرها ولا تعبأ بظلٍّ عبورهُ   يكونُ كطرفِ العين في كلّ سرعة

ولنا بك عدَّة اناشيد تقويَّة في السيِّد المسيح والبتول الطاهرة نقلنا منها سابقًا بعض شذرات. وممَّا لم نجدهُ في ديوانه قولهُ في سبت العازر:

لمَّا توفي عازر   فورًا بلحدٍ بادروا
جثمانهُ مذ غادروا   في جوف رمسٍ قد غدا

اللازمة

يا عازرُ ربُّ الفدا   وافاك لا تخشَ الردى

والموتُ ولّى مذ بدا مولًى قديرٌ مُزبِدا

وختمها بقوله:

فقام من جوف الضريح في صوته العالي يصيحْ
انت العلي انت المسيح مستوجبٌ ان تُعبَدا

(نجيب الحدّاد) ولد في بيروت في ٢٥ شباط سنة ١٨٦٧ ورحل صغيرًا الى الاسكندريَّة فتلقَّى في مدارسها العلوم. ولمَّا حدثت الثورة العرابيَّة عاد الى بيروت فأتمَّ بها دروسهُ في المدرسة البطريركيَّة وكان رضع صغيرًا افاويق الادب في قرابة الشيوخ اليازجيّ وأُمُّهُ كريمة الشيخ ناصيف فعاش مدَّةً في معيَّة اخواله الكرام. ولمَّا سكنت الامور في القطر المصريّ كرَّ راجعًا اليهِ وعكف على الكتابة في عدَّة جرائد انشأها وكان رئيس تحريرها او احد كتبتها الاوَّلين كلسان العرب وانيس الجليس والسلام. الَّا ان الاسقام لم تزل تتتابع حتى هصرت غصن حياتهِ رطبًا قبل بلوغهِ الكهولة فمات في مصر في ٩ شباط سنة ١٨٩٩ . وكان نجيب الحدَّاد متضلّعًا بالكتابة يجمع في انشائهِ بين متانة العبارة وسهولتها. ولهُ المقالات السياسيَّة الحسنة. واشتهر بانشاء الروايات او تعريبها. وقد لقي بعضها اقبالًا ونجاحًا كرواية السيد للشاعر كرنيل الفرنسويّ من تعريبهِ ورواية البخيل ورواية المهدي. وكان شعرهُ اجود من نثرهِ حذا فيهِ حذو الشعراء المصريين. فمن ذلك قصيدتهُ في ذمّ القمار التي رويناها سابقًا في المشرق (٧ : ٦٧٣) ومن شعرهِ الطيّب قولهُ في وصف السكك الحديديَّة وقطاراتها:

تَخَلَّ من التشبيب بالبيض والسمر ودَعْ عنك تشبيه المحاسن بالبدرِ
وعُجْ بي الى طُرق الحديد ووصفها الـجديد ودَعْ ما مرَّ من قِدَم الدهرِ
ففيها يروقُ الوصف وهو حقائق وفيها يحقُّ النعت لا مذهبُ الشعرِ
وفيها يصحُّ القول ان قيل بارقٌ يشقُّ الفلا لا عن جواد ولا مُهرِ
فطيرٌ بلا جنحٍ وطودٌ بلا بقا وبرقٌ بلا جوٍّ وعادٍ بلا فكرِ
على حي طيرٌ والبخار جناحهُ وطودٌ اذا شبهتَ بالطود ما يسري
وبرقٌ ولكن الدخان سحابهُ وعادٍ لهُ لبٌّ توقّدَ عن جمرِ
يسير فما يدري لسرعة سيرهِ أتجري لديهِ الارضُ ام فوقها يجري
والريح حوليهِ حفيفٌ كأنهُ حفيفُ جناح الصقر حنَّ الى الوكرِ
اذا سار ثارت فوقهُ راية من الد خان فتثني انهُ مالك القفرِ
تمزّقها الارياح حتّى كأنّها تحاول في تمزيقها الاخذ بالثأرِ

لعمرك ما هذا بحادي البلاد بل   هو القائد الهادي الى العزّ والنصرِ

واحسن من ذلك قصيدتهُ الغرّاء التي قالها في احتراق سوق الشفقة في باريس سنة ١٨٩٧ حيث رُزِئ الكاثوليك بموت قوم من كرامهم لاسيما النساء الشريفات فاتوا في تلك السوق التي انشأوها لمساعدة الفقراء والبائسين بعد ان اتّقدت اسلاك آلتها الكهربائية وامتدّ اليهم لهيب النار :

سوق برٍّ تُباعُ فيها التهاني   بيعاً ويُشرى الثواب فيها شراءَ
زيّنتها بيض الايادي وايدي م   البيض من محسنٍ ومن حسناءَ
أنفسٌ تبتغي السماء فما امسَيْنَ   الّا وقد بلغنَ السماءَ
ادركت ما تروم من جنّة الخلد   ولكن كان الطريق صلاءَ
من رأى قبلها جحيماً يؤدّي   لنعيمٍ ابناءَهُ الشهداءَ
او رأى محسناً يجودُ على   الناس فيلقى نار الحريقِ جزاءَ
أترى كان ذاك مطهرَ من ما   توا فيمحو عن النفوس الخطاءَ
ام هو الدهر لا يزالُ مُسيئاً   لكريمٍ ومكرماً مَن اساءَ
يا ربوعاً كانت معاهد احسا   نٍ وحسنٍ فاصبحت قفراءَ
ودياراً كانت منازل ايناسٍ   فاضحت بلاقعاً وخلاءَ
وكراماً كانوا مناهل جودٍ   لفقيرٍ فاصبحوا فقراءَ
أمراء نادى الندى فاطاعو   هُ امتثالاً لهم ولبّوا نداءَ
وحسانٌ قد جدن برّاً كأنّ م البرّ   ثوبٌ يزيدهنّ بهاءَ
ساحة تُنبت المكارم والرأ   فة والمجد والندى والاخاءَ
فتاةٌ بها تباري رجالاً   ورجالٌ بها تباري النساءَ
اوجهٌ يشرق السنا من محيّا   ها فتزداد بالجميل سناءَ
زُهرٌ يزهون بالرياض فما امسَيْنَ   إلّا كوالحاً سوداءَ
ربّما لم تدع بها النار الّا   رسم جسمٍ واعظماً جرداءَ
نقمةٌ صبّها القضاء على الا   برار ظلماً ومن يردُّ القضاءَ
رحم الله من قضى وشفى المجر   وحَ وعزّى الباكين والنساءَ

(سليمان الصوله) هو سليمان بن ابراهيم الصوله الرومي الملكي الكاثوليكي. كان مولدهُ في دمشق سنة ١٨١٤ وفيها قضى اوّل سني حياتهِ ولمّا ترعرع انتقل مع والديهِ الى مصر ونشأ فيها وتلقّن العلوم في مدارسها وكان يتردّد على اساتذة الازهر فأخذ عنهم العلوم العربيّة ونظم الشعر وقد اخبر عن نفسهِ انهُ في أيام الشباب كان يعارض قصائد ابي فراس الحمداني ويخمّس قصائد الحلي ويشطّر منظومات المتنبي وقد ألّف كتاباً

سمّاهُ حصن الوجود في عقائد اليهود وتآليف أخرى راحت حرقًا او غرقًا في حوادث سنة ١٨٦٠. وتقلّد سليمان الصولة المناصب في الدواوين المصريّة وصحب ابراهيم باشا لما جاء لفتح الشام ثم استقرَّ بعد ذلك في دمشق وتقدَّم في خدمة الدولة العليّة وتقرَّب من الامير عبد القادر الجزائري وبفضلهِ نجا من الموت في فتنة سنة ١٨٦٠ المشؤومة. ولمَّا كانت السنة ١٨٨٤ عاد الى مصر وفيها اقام الى وفاتهِ في ١٤ أيار سنة ١٨٩٦ عن ٨٥ سنة. ولهُ ديوان واسع في ٣٨٢ صفحة طبعهُ في مصر سنة ١٨٩٤ واعتذر في مقدّمتهِ انهُ بعضٌ من عددٍ ومجموعٌ صغير بقي من ديوان كبير « غادرتهُ اللصوص. بين محروق ومقصوص. فقال وهو بهِ يتعزَّى: اذا ما كان لي ابل فمعزى ». ثم اضاف اليهِ ما جدَّ عليهِ من النظم فطبعهُ مفضّلًا القليل المقبول على الكثير المرذول. والحق يقال انَّ شعرهُ رائق منسجم وواضعهُ مبتكرة اقرب الى المنظومات المصريّة. ومن شعرهِ ما قالهُ ارتجالًا يمدح يوحنّا بك البحري وكان الشاعر في الرابعة عشرة من سنّهِ فاحب البحري ان يسمع نظمهُ:

امرتَ لك الامرُ المطاع بأن ترى ... فرائد شعري وهي اعوزُ من شعري
فوا خجلي من عقد درّ أصوغهُ ... لديك وكلُّ الدرّ بعض حصى البحرِ

ومن مدحهِ قصيدة طويلة قالها في فقيد القطر المصري آنفًا الوزير بطرس باشا غالي منها:

رجلٌ وحسبُك انهُ الرجل الذي ... نجت البلادُ بهِ من الإغلالِ
احيا الندي وامات بالكد الصدى ... وثنى الصدى بمساعي الفُعّالِ
تبدو الغيوبُ لدى لواحظ حذقهِ ... غررًا مجرَّدةً من الإشكالِ
وتناولت منهُ المجالس حكمةً ... سادت على الماضي بها والتالي
نظر العزيزُ بهِ فطانةَ يوسفٍ ... فأحلَّهُ منهُ المحلَّ العالي
وامدَّهُ بالرتبة العظمى التي ... ما نالها قبلٌ من الانبالِ
فانادَ عيد القبط مجدًا ثانيًا ... متفرقًا لتيمّم المتعالي
والناس حول ندى يمينهِ أرَّخت ... نيل الفناء بمين بطرس غالي

ولهُ عدَّة مراثٍ حسنة قالها في ابنهِ ابراهيم المتوفَّى سنة ١٨٨٣ وابنتهِ السيّدة ليلى. فمّا قالهُ في ليلى:

يا ليلةً غادرتْ ليلى بلا نفسٍ وغادرتْني أقاسي حرَّ انفاسي
لولاكِ لم يدجُ نورُ الشمسِ في بصري ولا تبطَّن جوفَ اللحدِ نِبراسي
ولا جفا ازاحُ راحي والكرى بصري وصار دمعي والبلوى كاسي
اين التي كنتُ ان غابت اقولُ لها ما قالهُ شاعرٌ من آلِ عبَّاسِ
ما اقبح الناسَ في عيني واسمجهم اذا نظرتُ ولم القاكِ في الناسِ
قالوا نسيتَ بها أبراهيم قلت لهم لا عشتُ ان كنتُ يا ناسُ لهُ ناسِ
ولا رستْ بين ارباب العلى قدمي ان كان غيرها في خاطري راسِ

وقد روينا لهُ في المشرق (٧ : ١٣٢) ابياتاً قالها في مريم السيّدة البتول . ولهُ قصيدة اخرى في مدحها نجت من حريق الشام على منوال عجيب وفيها يقول مستغيثاً من داء اصابهُ :

ايا بابَ النجاةِ وسبيل السجاةِ ونورَ ربَّاتِ الخدورِ
خذي بيدي الشقيّة واعضيني وتجّيني من الخطر الخطيرِ
وداوي علّتي أُهدي حبوري لاضحى بالسرور عن السريرِ
فاني بين اشواك الشبابا أُعذَّبُ في الاصائل والبكورِ
أَيُكسَّرُ خاطري يا امَّ ربّي لديكِ وانت جابرةُ الكسيرِ
ويبلعني الجحيمُ وانتِ عوني وادخلُ في الظلامِ وانت نوري
أجيريني اجيرفي والّا فدلّيني لمن اشكو اموري
وهل يرضى حنوكِ بانتظاري لغير نداك يا بحر البحورِ
تبارك مَن بنورك جلَّ قدرًا عن التشبيه أخجل كلَّ نورِ
واعطاكِ الشفاعةَ يا سماء تخيَّرها لخلّاقِ البدورِ
سأبذلُ في امتداحكِ كلَّ جهدي لعلَّ الله يسمحُ عن قصوري
ويغفر لي ويصفح عن ذنوبي ويصلح عند خالقي اموري

وبـايمان الصوله قد خُتم القرن التاسع عشر الذي اخذنا على نفسنا تاريخ ادبائهِ . على انهُ في هذه الحقبة الاخيرة قد اشتهر غير الذين ذكرناهم ممَّن لم يبلغوا شأوهم او لم نحظ بآثرهم . وممَّن نالوا بعض الشهرة من النصارى فنذكرهم هنا تلميحًا (الياس فرج باسيل) اشتغل مدَّة بالآداب في مطبعة الرهبان الفرنسيسيين في القدس الشريف وكان يُصلح مطبوعاتهم وقد صنَّف لهم عدَّة كتب مدرسيَّة كمبادئ القراءة لافادة الاحداث سنة ١٨٧٨ ورغبة السائل في انشاء الرسائل (١٨٦٧) ومجموعة الازهار من رُبى الاشعار (١٨٧٦) ولهُ دليل الزوَّار الى الاماكن المقدَّسة تكرَّر طبعهُ . ونظم ايضاً بعض

المنظومات منها اناشيد تقويّة طُبعت في كتاب روضة الالحان سنة ١٨٧٠ وقد شاع بعضها بين الكاثوليك كنشيدهِ في البتول الذي اوّله « يا بتولًا زاد فوحاً مجدكِ الزاهي اليها » وكقولهِ « انّ مدح البكر فخري والثنا فرضٌ عظيمٌ » وقولهِ في الانفس المطهريّة « يا الهي جُدْ بعفوٍ في نفوسٍ في لهيب »

ومنهم بطل لبنان (يوسف بك كرم) الذي ولد سنة ١٨٢٤ في اهدن من اسرة كريمة وتخرَّج في مدرسة عينطورا وتولَّى في لبنان بعض المناصب الى ان حدثت بينهُ وبين متصرّف الجبل داود باشا تلك المنازعات المشؤومة التي انتهت بسفر يوسف بك الى اوربة ثم الى الاستانة حتى قضى آخر عمرهِ في نابولي وفيها توفّي معتزلًا عن الاشغال السياسية منقطعاً الى خدمة ربّهِ في اوائل نيسان من السنة ١٨٨٩. وقد ذكرناهُ هنا لما كان عليهِ من الاقتدار في الكتابة وقد نشر في العربيّة والفرنسويّة عدّة مقالات سياسيّة طُبع بعضها مفردًا. وكان ينظم الشعر العربيّ. قيل انهُ في ريعان شبابهِ نظم كتاب سفر نشيد الاناشيد. ولهُ قصائد روى بعضها صاحب الجوائب كقصيدتهِ في راشد باشا التي يقول فيها :

ذا راشد البرَّين وجهُ مدينة م البحرَين ولاءُ الزيتِ على الورى
يكفي البلاد بودّهِ وبجدّهِ فبنَدْرِهِ وجهُ الزمان تعطّرا
اضحت لمجدهِ القلوبُ كبيرةً والخطب في الامر الكبيرِ تصغّرا

وقد اثبتنا لهُ في المشرق (٥ : ٩٦٧) قصيدة ارسلها الى صديقهِ الاديب يوسف حبيب باخوس

ومنهم الدكتور (سليم بك الجريديني) المتوفّى سنة ١٨٨٥ واخوهُ (اسكندر الجريديني) وكان كلاهما من انصار الآداب انشأ مقالات علميّة وادبيّة نشراها في اعمال الجمعيّة السوريّة وفي بعض المجلّات

ومنهم (الحاج يوسف فرنسيس) الذي نشأ في حاصبيا وتوطّن القليعة في مرجعيون وكان عالمًا بامور الخيل كما يدلُّ عليه كتابهُ سراج الليل في سروج الخيل. كانت وفاتهُ سنة ١٨٩٢. ولهُ شعرٌ

ومنهم ايضاً (سليم دياب) احد محرّري مجلّة الجنان نشر فيها عدّة فصول تاريخيّة وقصائد توفّي سنة ١٨٩٥

ومنهم الاستاذ (فرنسيس شمعون) من تلامذة المدرسة الامركانيّة في اعبيه كان راسخ القدم في العلوم العربيّة متضلّعًا بالرياضيّات وله مؤلف لطيف في الحساب طُبع غير مرّة في بيروت توفي في ١١ شباط سنة ١٨٩٩

ومنهم (حنين بن نعمة الله الخوري) من اعضاء الجمعيّة السوريّة له في نشرتها عدّة مقالات وعرّب تأليف الوزير كيزو الفرنسوي في التمدّن الاوربي . لا نعلم سنة وفاته

المستشرقون الاوربيّون في ختام القرن التاسع عشر

قامت الدروس الشرقيّة على ساق في ختام القرن التاسع عشر في الاصقاع الاوربيّة فانّ الدول كلها بفضل السلام السائد في بلادها استنهضت همم ذويها لدرس لغات الشرق والبحث عن آثاره . وكان للغة العربيّة حظٌ اوفى من سواها لوفرة كنوزها واتساع نطاقها

(الفرنسويّون) بعد ان فقدت فرنسة فئة من كبار مستشرقيها وخمد نوعًا نشاطها المألوف بسبب رزايا الحرب عادت الى سباقها في حلبة الآداب . على انّ درس الآثار الشرقيّة غلب شيئًا على الدروس اللغويّة . وها نحن نذكر بالتلخيص اسماء بعض الذين استحقّوا شكر الادباء بما خلّفوهُ من ثمار قرائحهم على حسب تاريخ الوفيات كما فعلنا سابقًا

فقدت مصر في اواخر كانون الاوّل من السنة ١٨٨٠ إمام علمائها بالعاديّات المصريّة اوغست ماريت (A. Mariette) بعد أن اعدّهُ لمواجهة ربّهِ احد آباء جمعيّتنا . كان مولدهُ في ١١ شباط سنة ١٨٢١ وقدم مصر سنة ١٨٥٠ فقضى ثمَّ ثلاثين سنة توالت فيها اكتشافاتهُ العجيبة وتآليفهُ التي جعلتهُ في مقدَّمة علماء زمانهِ وكان يُحسن العربيّة ويعرف آثارها وقد عُرّب كتابهُ تاريخ قدماء المصريين بهمّة الشيخ عبد الله ابي السعود

وفي ١٤ كانون الثاني سنة ١٨٨٢ توفي في باريس اثريّ آخر فرنساويّ هنري دي لونبارييه (H. de Longpérier) عن ٦٦ سنةً خدم فيها العلوم الاثريّة لاسيّا النقود الشرقية فكتب فيها الكتابات الجليلة . وقد جُمعت آثارهُ في عدّة مجلّدات . وممّا يفيد تواريخ هذه البلاد خصوصاً كتابهُ في نقود ملوك العجم في دولتي بني ارشاك وبني

ساسان. ولهُ كتاب آخر في نقود ومسكوكات دول الاسلام في المغرب والاندلس. وكان الذكور مع علمهِ كثير التحمّس في الدين

واشهر منها في العلوم الشرقية فرنسوا لونرمان (Fr. Lenormant) ابن شرل لونرمان السابق ذكرهُ. ولد سنة ١٨٣٧ وتوفي في باريس سنة ١٨٨٣ وقد احبَّ الشرق منذ شبابهِ فتجوَّل في بلاد اليونان ومصر والشام وكتب في ما عاينهُ المقالات الواسعة. وقد اشتهر خصوصاً بالعلوم الاثريّة والتاريخ. ومؤلّفاتهُ تنيف عن خمسين مجلّداً نخصُّ منها كتاب تاريخ امم الشرق القديمة في تسعة مجلّدات. وكان عالماً بآثار العرب كما تدلُّ عليهِ كتبهُ. وكان لونرمان كثير الدين يدافع عنهُ دفاع المؤمن الصادق

وممّن عُني خصوصاً بدرس العربيّة الاستاذ شربونو (J. Aug. Cherbonneau) ولد سنة ١٨١٣ وتوفي سنة ١٨٨٢ في باريس. درس على المستشرقَين دي ساسي وكوسان دي پرسڤال ثم انتدبتهُ الدولة الفرنسويّة لتنظيم مدارسها العربيّة في الجزائر فاهتمَّ بالامر اهتماماً عظيماً وعلم في قسطينة مدّة وكان ينشّط الطلبة على درس آداب العرب وآثارهم وقد صنّف لذلك عدّة كتب مدرسيّة للقرّاء وتعليم الاصول والتكلّم ولهُ معجم كبير عربيّ وفرنساوي ونشر في المجلّة الاسيويّة مقالات متعدّدة في شعراء العرب وكتبتهم ونقل الى الفرنسويّة عدّة تآليف قديمة منها رحَل وتواريخ وقصص كرحلة العبدري وتاريخ ابن حمّاد وكان مغرماً خصوصاً بتاريخ المغرب والجزائر لهُ في ذلك عدّة آثار وفي آخر حياتهِ استدعتهُ الحكومة لتدريس العربية في مكتب لغاتها الشرقية في باريس

وكان يعلّم في ذلك المكتب مستشرق آخر اختطفتهُ المنون سنة ١٨٨٩ وهو پاڤه دي كورتيل (Pavet de Courteille) لكنّهُ برز في درس اللغة التركية فاحيا كثيراً من آثارها المدفونة. واشتغل بترجمة كتاب مروج الذهب للمسعودي بعية بربيه دي مينار (Barbier de Meynard) الذي توفي في العام الماضي ١٩٠٩. ومن تصانيفهِ كتاب بالفرنسويّة في صفة احوال البلاد العثمانية

وفي سنة وفاة شربونو توفي مستشرق آخر متضلّع بمعرفة العربيّة السيو شرل دِفرامري (Ch. Defrémery) وُلد في ٨ كانون الاوّل سنة ١٨٢٢ وتوفي في ١٩ آب سنة ١٨٨٣ درس العربيّة على كوسان دي پرسڤال والفارسية على العلامة دي كاترمار وبرع في اللغتين فاختارتهُ دولتهُ ليعلّم في مدرستها العليا. ولهُ عدّة تآليف

اخصُّها تواريخ الدول الاسلامية في خوارزم وتركستان وما وراء النهر وتاريخ الاسماعيليين وهو اوَّل من نشر رحلة ابن بطوطة وترجمها الى الفرنسويَّة وساعدهُ في عملهِ المستشرق الايطالي بنيامين سَنغيناتي (B. Sanguinetti) الذي كان استوطن فرنسة منذ سنة ١٨٣١ . ومن غريب الاتّفاق انَّ الرصيفين توفّيا في السنة عينها وكان سنغيناتي اعدَّ للطبع عدَّة تآليف عربية كتراجم الاطباء لابن ابي اصيبعة وتراجم الصفدي المسمَّى الوافي بالوفيات وبعض الكتب الطبية وكلها لم تُطبع . وممَّا نشرهُ في المجلَّة الاسيويَّة الفرنسويَّة سنة ١٨٥٩ كتاب فيهِ رسوم قديمة تُدعى احكام الشيقة لطائفة مسيحية زعم انها طائفة الموارنة

وخسرت الدروس العربية في فرنسة عالمًا آخرًا كانوا يبنون عليهِ امالًا طيّبة في خدمة الشرقيّات وهو ستانسلاس غويار (St. Guyard) ولد سنة ١٨٤٦ ومات منتحرًا سنة ١٨٨٤ . تعلَّم عدَّة لغات شرقية كالسنسكريتية والفارسية والاشوريَّة وقد نشر فيها كلّها مصنَّفات عديدة الَّا انهُ خصَّ قسمًا كبيرًا من حياتهِ القصيرة في العربية فألَّف فيها تآليف جليلة اخصّها كتاباتهُ عن الباطنية والاسماعيلية المعروفين بالحشّاشين ولهُ تأليف جليل في الاعاريض العربية واشتغل بتاريخ الطبري مدَّةً . وكانت غلبت عليهِ السويداء فحملتهُ على قتل نفسهِ

واشتهر بين الفرنسويين غير هؤلاء ممَّن لا يسعنا الافاضة في ذكرهم كرسال دوڤيك (M. Devic) المتوفى سنة ١٨٨٦ نشر في العربيَّة كتابًا قديمًا يُدعى عجائب الهند نقلهُ الى الفرنسويَّة . وقد ألحق معجم ليترِه (Littré) بجدول للالفاظ الفرنسويَّة المستعارة من اللغات الشرقيَّة . وكريشار بوشه (R. Boucher) المولود سنة ١٨٤٣ والمتوفى في تشرين الاوَّل من السنة ١٨٨٦ نشر قسمًا كبيرًا من ديوان الفرزدق عن نسخة ابا صوفيا ونقلهُ الى الفرنسويَّة وقد اتمَّ نشر هذا الديوان جناب الاديب الالماني نزيل كليَّتنا الدكتور يوسف هال (D^r J. Hell)

ومنهم ارنست رِنان (E. Renan) المتوفى سنة ١٨٩٢ اشتهر خصوصًا بمعاداتهِ للدين . امَّا ما عُرف لهُ من التآليف الشرقية فتاريخ اللغات السامية في جزئين وكتابهُ عن ابن رشد بالفرنسويَّة . وتجوَّل مدَّةً في سوريَّة فنشر آثار سواحلها في كتابهِ بعثة فينيقية . لكن في تآليفهِ المذكورة الغثّ والسمين كما بيَّنهُ قوم من العلماء

ومنهم الدكتور لوكلار (Dr Leclerc) المتوفي سنة ١٨٩٣ وهو الذي نقل الى الفرنسوية مفردات ابن بيطار وكتب تاريخ الطب في الشرق نقلاً من ابي اصيبعة وغيره من كتبة العرب في اربعة اجزاء.

ومنهم غستاف دوغا (G. Dugat) احد معلمي مكتب اللغات الشرقية في باريس (١٨٢٤ – ١٨٩٤) له تاريخ المستشرقين الاوربيين الذي لم يطبع منهُ الّا ... وصنّف مقالات في جغرافية بلاد الاسلام

ومنهم الاستاذ جوزف درنبورغ الموسوي (J. Derenbourg) المتوفى سنة ١٨٩٥ نشر رسائل لغويّة لابي الوليد بن جناح واشتغل مع غيره من الموسويين في طبع الاسفار المقدسة لرئي سعديا الفيّومي. وقام من بعده ابنهُ هرتويك (Hartwig Derenbourg) ففاق على ابيه في العلوم العربيّة ونشر كثيراً من آثارها ككتاب سيبويه وديوان النابغة مع ترجمته وجدَّد طبع تاريخ ابن الطقطقى المعروف بالفخري. توفي هرتويك سنة ١٩٠٨ وعمرهُ ٦٤ سنة

ومنهم العلامة هنري سوڤار (H. Sauvaire) المتولي القنصلية لدولتهِ في بلادنا له تآليف شرقية جليلة منها كتاب في المقاييس والموازين العربية وكتاب عيون التواريخ لمحمّد بن شاكر ونشر تاريخ مدارس دمشق ونقل الى الفرنسويّة الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل لمجير الدين. وغير ذلك ممّا يشهد له بطول الباع في العلوم الشرقية. توفي في أيار من السنة ١٨٩٦. ومنهم ايضاً الخوري جان برجس (J.-J. Bargès) الكاهن الفرنسويّ الذي علَّم العربية في مرسيلية واشتغل في باريس في جريدة البرجيس وترجم تاريخ بني زيَّان للتنيسي وتاريخ بني جلّاب للسيد حاج محمّد الادريسي ونشر منتخبات من كتب عربية نادرة كالفيض المديد من اخبار النيل السعيد للتنوفي. وابرز بالطبع سفر الزبور ونشيد الاناشيد لرئي يافث بن علي البصري وميمر ساويرس بن المقفَّع في القديس مرقس الانجيليّ

ومنهم العلامة الشهير شرل شيفر (Ch. Schefer) توفي في ٣ اذار ١٨٩٧ كان تجوَّل في حداثتهِ في الشرق وتولَّى شؤون الدولة الفرنسويّة في الشام والعجم وبرع في الفارسيّة وقد نشر بالعربية وصف الشام لابي الحسن علي الهرويّ.

وترأس مدّة سنين عديدة مكتب اللغات الشرقيّة في باريس فخدم الشرق خدماً مذكورة ولهُ منشورات فارسية جليلة

وممن نضيفهم الى الافرنسيين خمسة من آباء رهبانيّتنا خدموا الدين والآداب العربية معاً في هذه البلاد. احدهم الاب لويس كسافاريوس ابوجي (L. X. Abougit) ولد في مدينة بوي (Puy) وقصد سوريّة بصفة مرسل سنة ١٨٤٦ فأتقن العربية حتى امكنهُ ان يحرّر البشير ويصنّف الكتب في العربية او ينقلها اليها من اللغات الاوربية. وقد بلغت تآليفهُ وتعريباتهُ الخمسة عشر منها كتب دينية وجدلية كردودهِ على المقتطف وتزييفهِ لبعض مزاعم البروتستانت وكتراجم بعض القديسين ومنها مدرسيّة كمختصر الجغرافية وغرماطيقين عربيّ شرحهُ بالفرنسويّة وفرنساوي شرحهُ بالعربية. توفي الاب ابوجي في ١٦ تموز سنة ١٨٩٥ في غزير وكان مولدهُ سنة ١٨١٩

والثاني هو الاب فيلبُوس كوش (Ph. Cuche) ولد في مقاطعة فرنش كونته سنة ١٨١٨ وتوفي في بكفيا في ٢٧ آب ١٨٩٥ بعد ان خدم الرسالة خمسين سنة بصفة رئيس مدارس وادية وكمدير للمطبعة. لهُ قاموس عربي فرنسوي اصاب شهرة بين المستشرقين وهو المعجم الذي جدّد طبعهُ الاب حنّا بلّو (J. B. Belot) واضاف اليهِ اضافات عديدة وسمّاه القلائد الدريّة

والثالث هو الاب يوسف روز (J. Rose) جاء الى سوريّة قبل كهنوتهِ فتعلّم اللغة العربية حتى برع فيها. وكان احد المشتغلين بترجمة التوراة. ومن آثارهِ مكالمات عربية وفرنسويّة في جزءين ولهُ سبعة مجلّدات مواعظ مخطوطة انشأ بعضها ونقل بعضها الآخر عن اللغات الاوربية ولهُ معجم عربي فرنسوي لم يُطبع. توفي الاب روز في اذار سنة ١٨٩٦ في بيروت ومولدهُ سنة ١٨٣٤

وفي ٢ كانون الثاني سنة ١٨٩٧ توفي في زحلة الاب يوسف هوري (J. Heury) المولود في اقنيون سنة ١٨٢٤ جاء كمرسل الى سوريّة سنة ١٨٥١ واشتغل فيها بالتعليم والتبشير. لهُ قاموس فرنسويّ عربيّ تكرّر مراراً طبعهُ لرواجهِ

وكان اشتهر قبل هؤلاء الاب يوسف ڤان هام (J. Van Ham) الهولندي المولود سنة ١٨١٣ والمتوفى في ١٣ آب سنة ١٨٨٩ في تعنايل لهُ عدّة تآليف في الآثار الفلسطينيّة. وكتب مقالات واسعة في الاسفار المقدّسة وتاريخ الاصلاح الموهوم ولهُ

ردود مختلفة على مزاعم البروتستانت في بيروت طُبعت في مطبعتنا

(الالمانيُّون والنمساويُّون) كانوا بعد الفرنسويين ابعد همَّةً من سواهم في تعزيز الدروس الشرقيَّة · اشتهر منهم فردريك دياتريشي (Fr. H. Dieterici) الذي ولد في برلين ١٨٢١ وبعد ان ساح في جهات الشرق تعيَّن كاستاذ العربية في وطنهِ سنة ١٨٥٠ وهناك توفي نحو السنة ١٨٨٨ وله تآليف عربية متعددة منها معجم عربي والماني وشرح الفيَّة ابن مالك وألَّف كتاباً في الشعر العربي ونشر نخباً من يتيمة الدهر للثعالبي ومن ديوان المتنبي · ودرس خصوصاً تآليف العرب الفلسفيَّة كالفارابي واخوان الصفا ونشرها

ومنهم الاستاذ فليشر (H. L. Fleischer) المولود سنة ١٨٠١ والمتوفى سنة ١٨٨٨ درس اللغات الشرقية في باريس على دي ساسي وكوسان دي برسفال ثم خلف المستشرق روزنمولر في تعليمهِ في كليَّة ليبسيك · فكان في المانية احد ائمَّة الدروس الشرقية مدَّة خمسين سنة مجارياً الفريتاغ ولفاوغل وكان يكاتب ادباء سوريَّة وينشر كتاباتهم وقد ألَّف نحو مائة تأليف في كل الفنون الشرقية لاسيما العربية وقد نشر تفسير القرآن للبيضاوي والمفصَّل للزمخشري وكتاب الف ليلة وليلة مع الاستاذ هابشت (Habicht) ورسالة هرمس في معاتبة النفس وتآليف متعدِّدة في نحو العربية

ومنهم الاستاذ غوستاف ڤيل (G. Weil) ولد في سولزبورغ سنة ١٨٠٨ وتوفي في فريبورغ برسغاو سنة ١٨٨٦ · درَّس التاريخ الشرقي في كليَّة هيدلبرغ وكتب تواريخ الدول الاسلامية العامَّة والخاصَّة وكلّها مطوَّلة تُعَدّ من اتقن التواريخ واضبطها لاسيما تاريخ الخلفاء في ثلاثة مجلَّدات وتاريخ العبَّاسيين في مصر في مجلَّدين

وفي تلك السنة ١٨٨٩ توفي البارون فون كريمر (Bon Alf. Kremer) الذي وُلد في ڤينا سنة ١٨٢٨ ومات بقربها سنة ١٨٨٩ تجوَّل في مصر والشام وعلَّم العربية في حاضرة بلادهِ · الى ان أُرسل الى مصر بصفة قنصل لدولتهِ · ثم تعيَّن قنصلاً لها في بيروت سنة ١٨٧٠ حتى عهدت اليه دولتهُ وزارة الخارجية ووزارات غيرها الى سنة وفاتهِ · له كتب متعدِّدة في اداب العرب وتواريخهم واشعارهم وجغرافيَّتهم وقد نشر من ذلك نحو عشرين كتاباً منها كتاب الاستبصار في عجائب الامصار وكتاب المغازي للواقدي وكتاب الاحكام السلطانيَّة للماوردي والقصيدة الحميريَّة

وفي السنة ١٨٦١ فقدت المانيا احد كبار اساتذتها المستشرقين وهو العلّامة بول دي لاغرد (P. de Lagarde) المولود سنة ١٨٢٧ . اشتغل بهمّة قعساء مدَّة نيّف وثلاثين سنة في نشر الآثار النصرانية القديمة والاسفار المقدَّسة وعلَّم في كلّيات وطنهِ وتآليفهُ كلّها تُعرب عن سعة فضلهِ وكان يُحسن اللغات الشرقية كالسريانيّة والعبرانيّة والقبطيَّة والعربية له في كلّها آثار طيّبة . وممَّا نشر في العربية نسخة من الاناجيل القديمة ومن المزامير ومن قوانين الرسل ومن بعض التآليف الابوكريفا ونسخةً من غراماطيق قديم عربي ولاتيني للراهب بترو دي ألكالا الفرنسيي

وفي السنة ١٨٦٣ توفي الدكتور لويس سپرنغر (Al. Sprenger) الذي ولد في معاملة التيرول سنة ١٨١٣ وكان رحل الى لندن ودخل في خدمة الانكليز فسار الى الهند وتولَّى ادارة مدرسة دهلي سنة ١٨٤٣ واشتغل في مطبعة كلكوتّا فنشر فيها تآليف خطيرة منها كتاب اصطلاحات الصوفيَّة لعبد الرزَّاق السمرقندي وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي وتاريخ النزنويَّة للعتبيّ وكتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني وكتاب الاتقان في علم القرآن للسيوطي وكتاب حدود الفاكهي . ثم رجع الى وطنهِ وعلَّم اللغات الشرقية في برلين ثم انقطع الى التأليف في هيدلبرغ . ومن تآليفهِ سيرة مطوَّلة لمحمَّد نبيّ الاسلام في ثلاثة مجلّدات وكتاب في تعاليم محمَّد

وغلب كلَّ هؤلاء مع نشاطهم الغريب كاتبٌ الماني آخر أنشبت فيهِ المنون مخاليبها سنة ١٨٦٦ العلّامة هنري فرديناند وستنفلد (H. F. Wüstnefeld) المولود في اعمال هانوفر سنة ١٨٠٨ . درس اللغات الشرقيّة على اكبر اساتذة وطنهِ ثم جُعل استاذًا للعربية في غوطا . وتآليفهُ العربيةُ عبارة عن مكتبة واسعة تنيف عن مائتي تأليف بين صغيرٍ وكبيرٍ وقد ادَّى للعلوم الشرقيّة خدمًا لا تُنسى بما نشرهُ من المصنَّفات القديمة كطبقات الحفَّاظ للذهبي وتراجم ابن خلكان وتاريخ مؤرخي العرب وتاريخ اطبَّائهم وكتاب الاشتقاق لابن دريد ومعجم البلدان لياقوت الحمويّ ومعجم ما استعجم للبكري وسيرة الرسول لابن هشام وتهذيب الاسماء للنووي وكتاب الالباب في تهذيب الانساب لابي سعد السمعاني وكتاب المشترك وضعًا لياقوت وكتاب عجائب المخلوقات للقزويني وآثار البلاد له واخبار قبط مصر للمقريزي وكتاب المعارف لابن قتيبة وتاريخ مدينة الرسول للسمهوديّ وتواريخ مكَّة في ثلاثة مجلّدات وكتب عديدة غيرها مع

تذييلات وحواشٍ وفهارس تدهش العقل بوفرتها . احيا الله لنا امثالهُ كثيرين

(الهولنديون) عُرف الهولنديون بانصبابهم على اللغات الشرقيَّة ولاسيما العربيـة . ومن المشتهرين بينهم في آخر القرن التاسع عشر ب . يونغ (Pieter de Jong) احد معلّمي كليَّة اوترخت ولد سنة ١٨٣٢ وتوفي سنة ١٨٩٠ اشتغـل مع العلامة دي غوي (de Goeje) في وصف مخطوطات كليَّة ليدن ونشر كتاب المشتبه لابن القيسراني وكتاب لطائف المعارف للثعالبيّ ونشر بعض الفصول لمؤرخي العرب

وزاد على السابق شهرةً الهولندي رينهرت دوزي (R. Dozy) الذي ولد وتوفي في ليدن (١٨٢٠—١٨٨٣) . أُغري منذ حداثتهِ بدرس الشرق والعلوم الشرقيَّة وتمكَّن في درس العربيَّة حتى دُعي الى تدريسها في كليَّة بلدهِ ومنشوراتهُ العربيَّة عديدة نفيسة منها كتابهُ في ملابس العرب بالفرنسويَّة (في ٤٤٦ صفحة) ونشرهُ لتاريخ بني زيَّان ثم تخصَّص بدرس الدول الاسلاميَّة في الاندلس والمغرب فنشر عدَّة مجلَّدات في ذلك كتاريخ عبد الواحد المراكشي وتاريخ البيان المغرب لابن الاظهوريّ وجغرافيَّة الادريسي وتاريخ الاسلام في الاندلس في اربعة مجلَّدات ولهُ معجم واسع في مجلَّدين ضخمين جعلهُ ملحقاً للمعجمات العربية وكتب تاريخاً مطوَّلاً في الاسلام منذ ظهورهِ الى ايامهِ والَّف كتاباً عن الاسرائيليين في مكَّة

في ختام القرن التاسع عشر توفي الهولندي ڤات (P. J. Veth) المولود سنة ١٨١٤ المتوفى في ارنهيم سنة ١٨٩٦ كان من معلّمي الشرقيات في كليَّة ليدن واشتهر خصوصاً بكتاباتهِ عن الهند والمستعمرات الهولنديَّة . ونشر في العربيَّة كتاب لبّ اللباب في تحرير الانساب لجلال الدين السيوطي

وقد فقدت الآداب العربيَّة مؤخرًا رجلين عظيمين من علماء هولندة مات احدهما في ريعان شبابهِ هو ڤان ڤلوتن (G. van Vlouten) الذي نشر كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ومعظم رسائل الجاحظ الادبيَّة توفي سنة ١٩٠٧ منتحرًا . والآخر امام العربيَّة في اوربة العلامـة دي غوي المتوفى في العام المنصرم وهو متولي طبع الطبري وتاريخ اليعقوبي والفتوحات الاسلاميَّـة للبلاذري وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ومجموع جغرافيي العرب في عشرة مجلَّدة وقد ابقى لهُ في القلوب ذكرًا مخلدًا

(الانكليز) عُرف منهم في ختام القرن السابق ادورد بالمر (E. H. Palmer)

من اساتذة كليَّة كمبردج المتوفَّى سنة ١٨٨٣ خلَّف كتاباً انكليزيًّا في اصول نحو العربية . ونشر ديوان بهاء الدين زهير مع ترجمته الانكليزيَّة على طرز بعيٍ وله ايضاً ترجمة القرآن الى الانكليزيَّة

ومنهم المستشرق الشهير وليم رَيت (W. Wright) ولد في الهند الانكليزيَّة في اوائل سنة ١٨٣٠ ثم درس في اسكوتلاندة وتعلم العربية في ليدن تحت نظارة الاستاذ دوزي ثم عاد الى لندن ودرَّس العربيَّة وتولَّى نظارة المخطوطات الشرقية في خزانة كتبها العظمى فوصف مخطوطاتها السريانية الثمينة في قائمة لا تقلّ عن ثلاثة مجلدات ضخمة . وفي سنة ١٨٧٠ طلبته كلية كمبردج ليعلّم فيها العربية فبقي في مهمّته الى سنة وفاته في ٢٢ أيار ١٨٨٨ . ولوليم رَيت مطبوعات عربية جليلة منها الكامل للمبرّد ومنها رحلة ابن جبير ومنتخبات من شعراء الجاهلية دعاها « جرزة الحاطب وتحفة الطالب » واشتغل في استخلاص القسم التاريخي من نفح الطيب للمقّري . وله كتب اخرى لغويَّة منها غراماطيق عربي بالانكليزيَّة

وفي السنة ١٨٩٠ توفّي في تريست حيث كان قنصلًا لدولته السائح الشهير اللورد ريشرد برتون (Richard F. Burton) كان ولد في كنتيسة تورفلك في انكلترة وساح في عدَّة بلاد واكتشف في افريقية سنة ١٨٥٢ بحيرة تنغنيكا . وتعيَّن مدَّة كقنصل في دمشق ورحل الى بادية الشام والى تدمر . وكان قبلًا بلغ الى مكَّة وزار المدينة وكتب تفاصيل سياحته اليهما في مجلدين . وكانت امرأته كاثوليكية فلم تزل تسعى في امر اهتدائه حتى ادركت غايتها . ولمَّا توفي زوجها اقامت له في لندن مشهداً من الرخام على شكل خيمة عربيَّة وسكنت فيها الى موتها

وفي السنة ١٨٩٢ توفي انكليزي آخر صرف قسماً من حياته بمهنة ترجمان في سفارات دولته في الاستانة وفي القاهرة وهو جمس ردهوس (J. W. Redhouse) . وكان في اوقات الفراغ يشتغل بالتاليف لاسيما في التركية . وله معجم عربيّ وفارسي وانكليزي ونشر قصيدة لاميَّة العرب للشنفري مع شروح مختلفة ونقلها الى الانكليزيَّة

(الروسيُّون) تعزَّزت بينهم الدروس الشرقيَّة في ختام القرن التاسع عشر وازهرت العربيَّة خصوصاً في كليَّتي بطرسبورج وموسكو وممَّن عُرف منهم وقتئذٍ برنهَرد دورن (B. Dorn) كان مولدهُ في المانية سنة ١٨٠٥ ودرس اللغات الشرقيَّة على مشاهير

المستشرقين. وفي سنة ١٨٢٩ استدعتهُ الدولة الروسية للتعليم في كلية خركوف ثم في مكتبها الاسيوي في بطرسبورج وتولَّى نظارة مكتبتها الشرقيَّة ومتحفها الامبراطوري. توفي سنة ١٨٨١ بعد ان اغنى العلم بتآليفه لاسيما في تواريخ الشرق العجميّ والشرق الاسلامي كتاريخ القفقاز والخزر والكرج واتَّسع في وصف الآثار الشرقيَّة كالنقود العربيَّة والمخطوطات الاسلاميَّة فانَّ مآثرهُ تربي على ١٥٠ عدداً

ومنهم المعلم كرگاس (W. O. Guirgass) كان مولدهُ في روسية نحو السنة ١٨٣٥ ودرس اللغات الشرقية في بطرسبورج ثم في باريس ثم قصد الشرق فسكن سنتين بنيّف في جوار بيروت. ولما عاد الى روسية قُلّد منصب التعليم في حاضرتها فاقبل عليه الدارسون وكان من جملتهم العلامة البارون ڤون روزن الذي نشرنا في المشرق (١١ : ١٧١) خلاصة ترجمته. توفي المعلم كرگاس نحو السنة ١٨٨٤. لهُ مؤلفات مفيدة منها كتاب حقوق النصارى في البلاد الاسلامية ومنتخبات عربية ومعجم عربي روسيّ. ونشر كتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري وتاريخ الآداب العربية طبعهُ بالروسية على الحجر

وممن اسفت على فقدهِ ايطالية من المستشرقين الاستاذ ميثال اماري (M. Amari) وُلد في بالرمة سنة ١٨٠٦ وتوفي في فلورنسة سنة ١٨٨٩. تعلَّم اللغات الشرقية في باريس وخصَّ نفسهُ بالعربية وبآدابها وتاريخها في بلادهِ. فكتب تاريخ المسلمين في صقلية ونشر رحلة ابن جبير الى تلك الجزيرة وصنَّف تأليفهُ الذي دعاهُ بالمكتبة الصقلية وعزَّزها بالكتابات والماهدات التجاريَّة المُبرمة بين العرب والايطاليين وغير ذلك مما اوجب لهُ شكر المستشرقين عموماً واهل بلادهِ خصوصاً

وفقدت اسبانية في السنين الاخيرة من القرن التاسع عشر ثلاثة من اساتذتها المستشرقين جوزه دي لرخندي (J. de Lerchundi) مؤلف معجم عربي اسبانيّ ومجموع منتخبات عربية. وفرنسوا كساڤيه سيمونت (Fr. X. Simonet) استاذ العربية في غرناطة الذي نشر تاريخ النصارى المستعربين (Mozarabes) في الاندلس والَّف بعض كتب مدارسية ونشر اعمال مجمع طليطلة عن نسخة عربية قديمة ولهُ مقالات متعدّدة عن العرب نشرها في المجلات الاسبانية. وقد اجتمعنا بهِ في لندن فأخذنا العجب من سعة علمهِ. توفي في غرناطة في ٧ تموز سنة ١٨٩٧. اما الثالث فهو

استاذ العربية في مدريد العلامة بسكوال كيَاَنغوس (Don Pasc. Gayangos y Arce) المولود في اشبيلية سنة ١٨٠٩ قدم لندن وصنّف فيها تآليف مختلفة اشهر منها تاريخه للدول الاسلامية في اسبانية وترجمة التاريخ المقّري نفح الطيب في مجلدين ضخمين ووصف آثار قصر الحمراء وكتاباتها. توفي في لندن سنة ١٨٩٧. وكان هؤلاء اخذوا عن مستشرقين سبقاهم عهدًا الاول لافونتي القنطري (Lafuente y Al - cantara) المولود في جهات مالقة سنة ١٨٢٧ والمتوفى سنة ١٨٥٦. كتب تاريخ غرناطة ونشر كتاباتها العربيّة. والثاني لوس ريوس (Don José Amador de Los Rios) ولد في نواحي قرطبة سنة ١٨١٨ وتوفي في اشبيلية سنة ١٨٧٨. علّم العربيّة في مجريط ثم صار مديرًا لكلّيتها ونشر آثار قرطبة واشبيلية

واشتهر في اسوج هولمبو (Chr. A. Holmboe) المولود سنة ١٧٩٧ والمتوفي سنة ١٨٨٢ كان استاذًا في عاصمة بلاده كرستيانية بعد ان تخرّج في باريس على دي ساسي وكوسان دي برسفال واشتهر خصوصاً بالعلوم الكتابيّة واللغات الهنديّة. وقد ترجم الى الالمانيّة كتاب كليلة ودمنة ونشر عدّة مقالات عن الاسلام في الهند

امّا (الاموكيّون) فلا نعرف منهم احدًا اشتهر بالعلوم العربيّة الّا ترنيل يعوت الدكتور كرنيليوس فان ديك المولود في ولاية نيويرك سنة ١٨١٨ والمتوفّى في بيروت في ١٣ ت ٢ سنة ١٨٩٦. قدم الى سوريّة بصفة مرسل بروتستاني سنة ١٨٤٠ فدار الى آخر نسمة حياته قطب الرسالة الامركيّة في هذه البلاد وقد نشر سيرتهُ الدكتور اسكندر افندي عمّولا البارودي في المطبعة العثمانية فنحيل القرّاء الى تفاصيلها. وفي آخرها جدول تآليفه البالغة نحو ٣٠ كتابًا في العلوم العصريّة كالرياضيّات والآثار الجويّة والطبّ والجغرافيّة ولهُ كتاب النقش في الحجر في ثمانية اجزاء ونقل الى العربيّة الكتاب المقدّس دون الكتب الثانويّة وألّف عدّة كتب جدليّة ردّ عليها الاب فان هام اليسوعي وغيرهُ من آباء جمعيّتنا فألجأوهُ الى السكوت

وهنا نختم كلامنا عن الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر وكنّا نوينا ان نضيف اليه ملحقاً في احوال الآداب في القرن العشرين لكننا آثرنا ان نرجئ العمل الى فرصة أخرى ريثما تتوفّر لدينا موادّ الكتابة (تمّت)

السرّ المَصون في شيعة الفَرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الدرجة الاولى: الطالب (تتمّة)

وهذه الامتحانات يدعوها الماسون السياحات الرمزيّة فرأيتهم اخذوا الطالب واجلسوه نصف عريان على كرسي ذي رؤوس محدَّدة كالمسامير (لراحتهِ) واعادوا عليه السؤال أهو مصمّم العزم على الدخول في الماسونيّة وهل يقصد حفظ اسرارها حفظاً تامًّا ويقبل اشدّ العقابات ان حنث بوعدهِ. فاجاب مؤمِّنًا. فقام اخ يدعى بالذابح (F.˙. Sacrificateur) فأمسك بيد الاعمى وقادهُ الى سلّم غير ثابت الدرجات فلمّا جعل المسكين عليه رجلهُ عثر ولولا أخوان من الماسون انقذاهُ لوقع على الحضيض وفي الوقت عينهِ سُمع ضجّة وقرقعة في المكان كأنّهُ صوت انسان وقع من سلّم الى اسفل. وربّما مثّلوا صوت الرعد بآلة ذات دواليب تدور على تنك واطلقوا على الطالب هزّات كهربائيّة من آلة يخفونها في بعض الزوايا

ثم عادوا بهِ وهو معصوب العينين الى وسط المحفل فسألهُ الرئيس أهو لا يزال على عزمهِ وهو مستعدّ لكل ضروب المشقّات في خدمة الماسونيّة والّا فالأولى بهِ ان يكفّ عن قصدهِ للدخول في الماسونيّة. فالطالب شدّد نفسهُ وتظاهر بالحماسة فقال انّهُ ثابت على عزمهِ فأمر الرئيس باختبار صدقهِ قائلًا للاخ الذابح بان يقودهُ الى المذبح. فعند وصولهِ قدّم لهُ قدحاً ذا قسمين في قسم منهُ ماء صافٍ او شراب حلو وفي القسم الآخر مشروب مرّ فقال الرئيس:

« ان كنت غير صادق فهذا الشراب الصافي سوف يستحيل الى سمّ ناقع في فيك »

فشرب الطالب الماء وبقيت الكأس في يد الاخ الذابح فجعل يديرها شيئاً فشيئاً حتى بلغ الشراب المرّ الى فم الطالب فتقلّصت شفتاهُ من مرارتهِ ونفر من المشروب فصرخ الرئيس بعد ضربهِ على المطرقة قائلًا:

« ما هذا يا فلان ما بالك تشمئز وتتغيّر سحنتك الفكّ تنوي الخيانة فاستحال لك المشروب الطيّب الى سمّ قاتل... ابعدوا الخائن»

فامسكهُ « الاخ الهول » بيدهِ وقادهُ الى زاوية أُخرى ليفكّر في امرهِ ثم سألهُ أليس في قلبهِ غشّ . فاجاب انهُ صافي النيّة سليم القلب ففرضوا عليهِ سياحة ثانية ليمتحنوهُ

الّا انّ هذه السياحة الثانية خالية من اخطار السياحة الاولى وانّما يُسمعون الطالب صلصلة السيوف واصطكاك الاسلحة كأنهُ ماشٍ الى حرب عوان ثم يقودهُ « الاخ الهول » الى باب فيقرعهُ ثلاثاً فيتقدّم اليهِ الحارس الاوّل قائلاً : من الطارق ؟ فيجيب القائد انهُ اجنبيّ يطلب الانضواء الى الماسونيّة فيسأل الحارس :

ح : كيف استطاع ان يطلب امراً صعباً كهذا ؟
الاخ المهيب : لانهُ رجل حرّ طاهر الذيل
ح : فان كان الامر كذلك فليُطهَّر بالماء

فتمّ كل ذلك بحرفهِ فأخذ اثنان من الماسون ذراع الطالب وغمسوها في الماء ثم اخرجوها ونشّفوها وعادوا بالطالب الى مكانهِ السابق فقال المنبّه الاوّل :

انتهت السياحة الثانية يا حضرة المحترم

الرئيس : انّ غمس اليد بالماء اشارة الى الطهارة والنظافة وتطهير القلب عن كلّ ما تنهي عنهُ الوصايا الادبيّة وهذه السياحة رمز عن تذليل المصاعب وهي اقلّ من سابقتها قرقعةً ومشقّة اشارة الى انهُ كلّما تقدّم الانسان في سبيل الفضيلة (الماسونيّة) هان عليهِ السير في مناهجها

وهنا زيادة في كلام الرئيس لم يذكرها شاهين بك مكاريوس في كتابهِ لئلّا ينفر من كلامهِ المسيحيّون في بلادنا وهو في كتب الماسون المطبوعة في اوربة . فيقول الرئيس :

انّ التطهير بالمعمودية قديمة بين المصريين وغيرهم (اي المسيحيين) الذين كانوا يزعمون (!!) انّ الانسان يولد في خطيئة اصليّة فيطهَّر بالماء (يريد المعموديّة) الّا ان هذا الزعم خرافة يمجّ العقل بطلانها

فترى من هذا صدق الماسون حيث يقولون أنهم لا يتعرّضون للاديان

ثم عرضوا على الطالب سياحةً ثالثة وهذه المرّة يطهّرونهُ بالنار كما طهّروهُ بالارض والهواء والماء سابقاً . لأنّ الماسونيّة وحدها حتى الآن محافظة على تعليم قدماء الطبيعيين الذي اكل عليهِ الدهر وشرب فتقول بالاسطقسات الاربعة الارض والهواء والماء والنار . فسمعتُ الرئيس يسأل الطالب :

هل تتعهَّد لنا بالشرف أنك تتحمَّل مشقَّات تكريسك (كذا) غير مضطرب وتستمرُّ بعد انتظامك في عشيرتنا محافظاً على الثبات في خدمة الانسانيَّة عموماً وهذا المحفل خصوصاً

الطالب: نعم

الرئيس: اخي المرشد الثاني عليك بالرحلة الثالثة. وليسرِ الطالب بالنار المطهِّرة

فامسك المرشد الثاني الطالب بيدهِ اليسرى ودار بهِ المحفل من امام المنبر الأوَّل والحضور سكوت (لكن يجوز الضحك!) وعاد بهِ الى مكانهِ فأتى الاخ المهيب (الترول) بلهيب ونفخ فيهِ تجاه وجه الطالب. واللهيب المذكور هو لهيب نبات من شكل الطحلب يدعى ليكوبود (lycopode) يزجونهُ ببعض المواد السريعة الالتهاب ويجعلون الزيج في انبوب وينفخونهُ في وجه الطالب فيحدق بهِ اللهيب دون ان يؤذيهُ كثيراً وينطفئ بسرعة

فبعد هذا التطهير اعادوا الطالب الى مكانهِ فألقى الرئيس عليهِ خطاباً هذا تعريبهُ:

«أيها الاجنبيّ انك الان قد تطهَّرت بالارض والهواء والماء والنار فأثني على حماستك ورباطة جأشك اثناء الطيب ولكن اعلم انك لم تبلغ غاية امتحاناتك فان الجمعيَّة التي تطلب الانحياز اليها لعلها تطلب منك ان تهرق حتى آخر نقطة من دمك افأنت مستعدّ لذلك»

فانظر رعاك الله ما يطلبهُ هؤلاء من ذويهم فانهُ اشبه بما كان يطلبهُ الباطنيَّة قديماً من مشايعيهم اذ كانوا يضحُّون بنفوسهم لدى اشارة شيوخهم فيتهوَّرون طاعةً لاوامرهم في كل المآثم

فاجاب الطالب انهُ يرضى بكل شيء. فقال الرئيس:

«ها نحن نختبر بأسك ونتحقّق عزمك فانّنا نريد نفصد لك عرقاً للحال»

فتقدَّم اخٌ يدعونهُ الاخ. ". الجرَّاح ووخزهُ بشبه المشرط وصبَّ بلطفٍ ماء على ذراعهِ كأنهُ الدم السائل وربطهُ بمنديل. ثم قال لهُ الرئيس:

«واننا نريد ايضاً ان نطبع على صدرك او احد اعضائك الخاتم الماسوني بحديد محمى ليعرفك اخوتك الماسون في العالم كلهِ»

فلمَّا رضي الطالب وسموا صدرهُ المكشوف بطابع احموهُ قليلاً على شمعة واوقدوا فوقهُ قطعة ورق. وبعد هذا اعلم المرشد الأوَّل «حضرة المحترم» بان الطالب انجز سياحاتهِ الثلاث فشنّف الرئيسُ آذانهُ بخطبة اولها تعريف العهاد الماسوني بالماء والنار فقال:

«أيها الطالب عسى ان هذه النار الماديَّة تشعل في قلبك نار المحبة لاخوانك على الدوام واعلم

انّ بالماء والنار تُطهّر الاشياء (وهو مبدأ الشيع السرّية) ولذلك جُعلت رمزًا في الماسونيّة من قديم الزمان ...»

ثم امر الرئيس بان يقدّموا الطالب الى الهيكل الماسوني الذي يسمّونه المحراب بالطريقة المتّبعة في المحفل . فأخذ المرشد الثاني يد الطالب اليمنى وعلّمهُ شيئاً من الحركات الماسونيّة الشريفة وهي من الاسرار التي تفوق ادراكنا نحن الجهّال فقال لهُ :

« ضعْ عقبَيك الواحد (العَقِب عند الصرفيين مؤنّثة الّا انّ الماسون يذكّرون المؤنّث كما يصرف الشعراء غير المتصرف) بجانب الآخر ليكوّن من قدمَيك زاويةً قائمةً ثمَّ أخطُ خطوة بقدمك اليسرى وضع عقبك الايمن بجانب الايسر ثمَّ أخطُ خطوةً ثانية ثمَّ ثالثة (كما في لعب القرد المربوط) الى ان تصير امام المحراب (الماسوني) بغير ان تعمل حركة اخرى »

فاتمّ الطالب هذه الحركات اللطيفة بكل رشاقة كاصحاب البهلوان فقال لهُ الرئيس :

« أيها الطالب ضع ركبتك اليسرى على الارض ورجلك اليمنى على شكل زاوية قائمة وضع يدك اليمنى على الكتاب المقدَّس (هذا الكتاب هو اليوم كتاب رسوم الماسونيّة) وخذ البرجل بيدك اليسرى واجعل احدى شعبتَيهِ على صدرك واتبعني فيما اقول » :

ثم دقّ المعتمِد دقّة بالطرقة ووقف الاخوان جميعاً . فتلا الطالب القسَم الآتي الذي يدلّ على انّ نير الماسونيّة باهظ وحملها ثقيل على خلاف نير الربّ وحمله

القسَم الماسوني

« انا فلان اقسم بالله الرحيم مهندس الكون الاعظم (واليوم كما قلنا سابقاً قد مُحي الاسم الكريم فأبدل بالشرف الشخصي) في حضرة هذا المحفل الموقَّر واتعهّد امام الحاضرين اني اصون واكتم الاسرار الماسونيّة التي تُباح لي ولا ابوح بشيء منها ... وأقسم ايضاً اني لا اكتب هذه الاسرار ولا أطبعها ولا ادلّ عليها وان امنع بكل قدرتي من يريد ان يفعل ذلك كي لا تكشف اسرارنا لغير ابناء عشيرتنا واقسم بشرفي بلا مواربة اني احافظ على قسمي هذا واتودّد الى اخواني واعضاء محفلي واساعدهم واعاونهم في احتياجاتهم واواظب على الحضور في جلسات المحفل بقدر استطاعتي واحافظ على طاعة قانون المحفل الاكبر ... وان حنثتُ في يميني أكن مستحقاً قطع عنقي واستئصال لساني والقاء جثّتي لطيور السماء وحيتان البحر . . واني راضٍ بأنَّ جثّتي تُعلَّق في محفل ماسوني لاضحي عبرة للداخلين من بعدي ثم تُحرق ويُذرّ رمادها في الهواء . . »

هذا هو القسَم الماسوني الملوعذوبةً ولطفاً الذي يقيّد به بعض المجانين نفوسهم . ومن المعلوم انّ قسَماً كهذا اثمٌ فظيع لا يجوز لاحد ان يرتبط به كما انّهُ باطل اصلًا لا يُلزم احداً بالذمّة . وعليه لا صحّة لقول الرئيس بعد هذا :

« انَّ القسم الذي صدر منك يُعتبر ميثاقاً اكيداً وعهداً شديداً فارجوك ان تختمهُ بتقبيل الكتاب المقدَّس (بل بالحري كتاب رسوم الماسونيَّة) »

فبعد ان قبَّلهُ قال لهُ الرئيس :

يا فلان لقد طالت مدَّة مكثك في الظلام فما الذي تتمنَّاهُ الان ؟

الطالب : النور

الرئيس : فليُعط لهُ النور عند ثالث دقَّة من كرسي الرئاسة

فتقدَّم المرشد الثاني وحلَّ الرباط عن عيني الطالب حتى اذا طرق الرئيس الطرقة الثالثة ازاحهُ عنهُ . وكان الاخ الحارس قد احضر نوراً ساطعاً اجازهُ امام عيني الطالب . وفي الوقت عينهِ قام كل الاخوان واحدقوا بهِ وسلّوا سيوفهم فوجّهوها الى صدرهِ فتُرك المسكين بين هؤلاء الجلّادين مدَّة ليتأثر من مشهدهم . ثم قال لهُ الرئيس :

اخي المستنير (ونعم النور !) انَّ السيوف المسلولة امامك هي للدفاع عن شرفك وحياتك ما دمتَ ماسونياً حقيقياً وهي للعقاب اذا خنتَ بعهدك لا سمح الله (اله الماسونيَّة !) ولمَّا كنت قد انتقلت من الظلام الى النور (لأنهم فتحوا لهُ عيونهُ المربوطة !) فاني اوجّه نظرك الى الانوار الثلثة العظيمة التي تُعتبر في الماسونيَّة وهي الكتاب (اي الرسوم الماسونيَّة) والزاوية والبرجل . فالكتاب لإحكام ايماننا (الكاذب) والزاوية لتنظيم اعمالنا (الباطلة) والبرجل لتحديد ارتباطنا بالحدود اللائقة مع سائر النوع البشري وخصوصاً مع اخواننا البنّائين الاحرار (وزد عليهِ : لمعاداة كل من لم يشاركنا بالماسونية)

هذه هي الانوار الكبيرة التي تبهر العيون بسطوعها ولمعانها . الّا ان الماسونيَّة انواراً ثلثة اخرى صغيرة كانت محجوبة عن نظر الطالب فاجازوا لهُ الآن ان يمتّع عيونهُ برؤيتها . فاسمعْ ما قال نبراس الماسونيَّة النيّر شاهين بك مكاريوس « رئيس اعظم شرف مقام العقد الملوكي بالينويس في الولايات المتَّحدة واستاذ اعظم شرف المحفل الاكبر بفيلادلفيا ورئيس ثالث اعظم مقام العقد الملوكي الاكبر بمصر ... الخ (فيا لله كيف يمكن المصريين ان ينظروا الى هذا النور الباهر فلا يُصابوا بالعمى ولعلَّ كثرة امراض العيون المتفشّية في مصر ناتجة عن نظرهم الى هذا النيّر العظيم!) قال جنابهُ (ص ١٦ من كتابهِ الدرجة الاولى للماسونيَّة) : « ثمَّ ان المحترم يمسكهُ (اي الطالب) بيدهِ اليمنى ويقول لهُ : « انهض اذاً ايها الاخ الحديث » (لا بل الطفل الرضيع لأنَّ عمر الطالب على قول الماسون ثلاث سنوات ليس الّا) . فنهض وقبَّلهُ القبلة الماسونيَّة (!) ثم جلس الاخوان الذين كانوا واقفين واوقفوا المستنير تجاه يمين الرئيس المحترم فكلمهُ قائلاً :

« يمكنك الآن (ويا لسعادة الطالب ! نيأله) اكتشاف الانوار الصغيرة الثلاثة الماسونية الموضوعة شرقاً وجنوباً وغرباً فهي دلالة على الشمس والقمر (من الورق الشفّاف) والرئيس المحترم (من لحم ودم) فالشمس لحكم النهار والقمر لحكم الليل (الّا ان الطالب ما كان يعرف ذلك قبلًا !) والرئيس لنظام المحفل وادارته »

وهنا تنبيهات اخرى اشبه بملاعب المراسح (الكوميديه !) فقال الرئيس :

« ثم انك ايها المستنير بحسن سلوكك في هذه الليلة قد نجوت من خطرين عظيمين (!!) ولكن يوجد خطر ثالث عليك ان تحذره ما دمت حيًّا . امّا الخطران اللذان نجوت منهما (اقرأ: اللذان عرّضت نفسك جهلًا لهما) فهما الطعن بالسلاح (الماسونية) والخنق (بالحبل الذي ربطك فيه الماسون كالحيوان) فانهُ عند دخولك في المحفل كان هذا الحسام مسلولًا تجاه قلبك حتى اذا فاجأتنا بقصد سوء كنت سبباً في قتل نفسك طعناً به ويكون الاخ الحامل لهُ قد قام بالواجب عليهِ (لأنّ للماسون حقّ الموت والحياة في عائلاتهم !) وكان هذا الحبل في عنقك (وهنا يرفعون الحبل عن عنقهِ) حتى اذا عدتَ الى القهقرى خُنقت بهِ (وهو الاستشهاد الماسوني !) . وامّا الخطر الذي عليك ان تحذره ما حييتَ فهو العقاب الذي التزمتهُ (بيلاهتك عند قَسَمك العظيم بعدم افشاء اسرار البنّائين الاحرار) »

وهنا اخذ الرئيس يطلعهُ على تلك الاسرار العجيبة التي تفوق ادراك البشر اكثر من سرّ الثالوث الاقدس نفسهِ فقال لهُ :

« واعلم انّ الاشياء التي يمتاز بها كلُّ بنّاء هي الزاوية والميزان والشاقول (يا لها من اوسمة جليلة فما للماسون لا يزدهون بها في الشوارع !) ولمّا كنتَ قد حلفت اليمين اللازمة فأُطلعك على اسرار الدرجة التي انت فيها » (وهي الاسرار الفائقة العقل التي اذا افشاها الماسوني استحقّ اعظم العذابات)

« يجب عليك ان تقف معتدل القامة عند دخولك المحفل وقدماك مكوّنتان زاوية ليكون اعتدال جسمك اشارة الى اعتدال عقلك (!) وهيئة قدميك اشارة الى انتظام عملك . فأخطُ اليّ الان خطوة مُبتدئاً بقدمك اليُسرى ثم الصق عقبك الايمن (كذا) بها وهذه هي أوّل خطوة منتظمة في الماسونية وفي وقفتك هذه أُودعك اسرار هذه الدرجة وهي (اسمعوا !) : اشارة . ولمسة . وكلمة

« امّا الاشارة فهي . . . . (بياض في الاصل . فيا تشير الذين لم يعرفوها !) . وامّا الكلمة فهي ثمينة عند البنّائين الاحرار وتُعَدّ بمنزلة حارس لحقوقهم وهي . . . . (بياض في الاصل) ولا يجوز النطق بها الّا بحروف متقطّعة كما تسمع عند السؤال عنها في هذه الليلة . وفي الماسونية اشياء يتسلّمها الخالف عن السلف مثل القبلة الاخوية والسنّ في هذه الدرجة وصفقة التهليل وصفقة الحِداد والنُقط تحت الامضاء . فالامل ان الاخ المرشد الثاني يطلعك هذه الاشياء الماسونية . واعلم ان الكلمة هي اسم العمود الايسر الذي في مدخل هيكل سليمان

ولعلك ايها القارئ تتأسف من عدم معرفتك كل هذه الاسرار الغامضة من سكوت « شاهين بك مكاريوس استاذ اعظم محفل الاكبر الاورشليمي » عنها في كتابه. ولكن تعزَّ فان « اخي الجاسوس الجزويتي » الذي سبق الكلام عنهُ قد اطلعني على كل ذلكَ

(فالاشارة) ان يكون الماسوني منتصباً ويجعل ذراعهُ اليسرى على طول جسمهِ واليد اليمنى تحت حلقهِ بهيئة الى حبل الوريد الايسر ويضم اصابعهُ الاربعة ويفتح ابهامهُ على شكل زاوية ثم يزيح افقياً اليد اليمنى ساحباً لها الى كتفهِ اليمنى كأنهُ يقطع حبل وريدهِ ثم يترك يدهُ تسقط على جانبهِ الايمن بحيث يمثّل بحركتهِ زاوية على نفسهِ. فبهذه الاشارة اللطيفة يدلّ الماسوني على انهُ قابلٌ بقطع عنقهِ ولا الاباحة باسرار الماسونيَّة

اما (اللمسة) التي ضنّ علينا بتعريفها جناب شاهين بك فهي المصافحة الماسونيَّة وتصير هكذا: يأخذ الاخ .˙. بيمين الذي يريد ان يعرّفهُ بنفسهِ فيجعل ابهامهُ على اعلى سُلاميات سبابتهِ بينما يدقّ باصابعهِ الاربع ثلاث دقَّات في كفهِ. فهذه اللمسة تستدعي التلفظ بالكلمة السريَّة وهذه الكلمة السريَّة هي اشرف واعظم واغمض كل الاسرار حتى انهُ لا يجوز لفظها الّا بحروفها المقطّعة. وليست هي الاسم الكريم (יהוה) الذي لم يتجاسر اليهود بلفظ حروفهِ ولكن كلمة « ج . ا . ك . ي . ن » يتهجّى كل واحد من الماسون حرفاً منها وحذارِ وحذارِ ان تلفظ « جاكين » (Jakin) لانَّ السماء تهبط عليك والارض تُخسف بك ان قُلتها

وان دخلت في محفل منوط بطقس ماسوني فرنسوي علَّموك كلمة اخرى شبيهة بكلمة « جاكين » وهي سريَّة مثلها ولا يجوز ان تُكتب بل تلفظ فقط فالمعوان كتبناها هنا وهي لفظة طوبلقاين (Tubalcain) اسم احد ابناء لامك. اما اذا دخلت في الماسونيَّة في طقس الاسكتلندي فالكلمة السريَّة ليست « جاكين » ولكن « بوعز » (Booz)

اما (السنّ) الذي يبلغهُ الاخوة الماسون الطالبون فهو الثلاثة فاذا طلب منهم الرئيس كم هو عمرهم اجابوا ثلاث سنوات لأنَّ العدد الثلاثة عندهم عدد سري. وعندنا هو السنّ الذي يليق بمثل هؤلاء الصغار العقل الذين ينضمون الى الماسونيَّة.

وكذلك يطرقون ثلاث طرقات اذا طلبوا ان يُفتح لهم باب المحفل ويرسمون بعد اسمائهم الماسونيّة ثلاثة نجوم كما سبق

امّا (صفقة التهليل) فبأن يضربوا بطرقة ثلاث طرقات لكنْ في الطرقة الثالثة يرفعون رأس القدم اليسرى فيضربون به الارض

وفي (صفقة الحداد) يضيفون الى الطرقات اصوات الندب والتأسُّف . آه ! ها ! واه !

فتلك هي الاسرار التي صار الآن الطالب يدركها . فما اغزر علمهُ واوفر عقلهُ !

وعقبَ كشفِ هذه الاسرار امتحانُ الطالب فألقى عليهِ بعض اعضاء المحفل كالمرشدَين والمنبّهين الاسئلة التي خطرت على بالهم فقضي على الطالب ان يجيب عليها بما يعنُّ له . ولدينا بعض هذه الاسئلة التي من شأنها ان تضحك الثكلى فنضرب عليها صفحاً خوفاً من الاطالة المملّة

وفي اثر الامتحان قلّدوا الطالب نشان المحفل وهو مئزر (وزرة) من جلد الشاة ووشاحاً يحملهُ على صدرهِ وعلى كليهما شارات الماسونيّة كالمثلّث والزاوية والبركار . امّا صورة التقليد فتفوَّه بهِ المرشد الاوّل قائلاً :

« بأمر الرئيس المحترم اقلّدك نشان الماسونيّة واعلم انهُ اقدم وسام في العالم واشرف من جميع النياشين التي تمنحها الملوك والسلاطين (فما بال الماسون اذن يمقتونهُ كأنّهم يخجلون منهُ) لانهُ وسام النزاهة ورابطة المودّة والاخاء . واوصيك باحترامهِ على الدوام واؤكّد لك انك اذا لم تُحيّهِ لا يحيّك (كذا) »

ثم أيّد الرئيس هذا التقليد بارشادات أنقل منها قولهُ :

« اخي فلان اعلم انّ العادة المألوفة في تشييد البنايات الفخيمة (الماسونيّة) هي وضع اوّل حجر من الاساس في الزاوية التي في الشمال الشرقي (ما احذق هؤلاء المعماريين !) ولذلك جُعل مقرُّك في الجهة المذكورة من المحفل بعد قبولك في الماسونيّة لتكون فيهِ بمنزلة ذلك الحجر وعلى هذا الاساس يمكنك إن تشيّد بناء كاملاً يشهد بعظم بانيهِ (كالاهرام التي يزعم الماسون انّ اجدادهم ابتنوها) »

وولي هذه الارشادات السمويّة تسليم آلات المبتدئ في الماسونيّة فقال المحترم :

« واقدّم لك آلات المبتدئ من البنّائين وهي الذراع البالغ قدرها ٢٤ قيراطاً والقَدُوم والإزميل (والاجرة كم ؟) . فالذراع لتقدير الاعمال . والقَدُوم لازالة الزوائد والعُقَد البارزة . والازميل لتسوية الحجر ونحتهِ وجعلهِ صالحاً للاستعمال بايدي البنّاء الماهر . وامّا عندنا فالذراع المشتملة على ٢٤ قيراطاً رمز الى عدد ساعات اليوم التي يلزم صرف جزء منها في العبادة (ولهذا لا ترى ماسونيّاً يدخل كنيسة وان فعل فنادراً !) وجزء في العمل (اي اثارة الفتن كما فعلوا عند موت

فرّبر) وجزء في الاستراحة (وهذا افضل المالم) وجزء لمساعدة الاخ وقت الحاجة (امني التعاون في ادراك غايات الماسون). والقَدُوم رمز الى همّة النفس التي تقلع الباطل (الباطل عند الماسون ما يدعونهُ بالخرافات الدينيّة والايمان بوجود الخالق وخلود النفس كما اثبتنا سابقاً)... والازميل رمز الى مزايا التعلّم والتربية (اي التعليم اللاديني)...»

وفي المحافل الماسونيّة حجر منحوت مكعَّب (لعلهُ بقيّة من عبادة الزُّهرة المرموز عنها بالحجر المكعَّب) يدعونهُ الحجر الغشيم

فاسمع رعاك الله ما قالهُ الرئيس مشيراً الى ذاك الحجر:

« وانظر الى الحجر الغشيم امامك فهو اشارة الى انَّ الانسان اذا لم يتعلَّم (بالمعنى الماسوني) يبقى على حالته الاصلية. و بالعكس اذا تعلّم وتهذّبت اخلاقهُ فيصير كالحجر المنحوت الذي امامك ايضاً... »

ثم يسلّم الطالب الدستور الماسوني ويوصيه بان يحتفظ عليهِ ولا يُطلع عليهِ احداً. ثم يأمرهُ بان يتقدَّم الى امام كرسي الرئاسة اذ قد حان وقت « التكريس » فيحلّ على الطالب الروح الماسونيّ بتمامهِ « فأمسك الرئيس السيف بيدهِ اليُسرى والمطرقة بيدهِ اليُمنى وطرق طرقة فوقف الاخوان ومدَّ السيف ووضعهُ فوق راس المستنير (؟) وضرب عليهِ ثلاث طرقات وجملةً على رأس المستنير وكتفيهِ وقال:

« باسم مهندس الكون الأعظم (راجع ما قلناهُ سابقاً عن هذا المهندس) وتحت رعاية المحفل فلاني قد كرّستُكَ (!!!) اخاً ماسونياً وعضواً عاملاً في محفل كذا... »

ثم امر الطالب بالجلوس هو وكل الاخوان وامر المنبهين بان يعلنا امام الاخوة « بان يعرفوا الاخ فلان ماسونياً وعضواً عاملاً في محفل كذا... في الدرجة الاولى الرمزيّة وبعد هذا امروهُ بان ينصرف ويلبس ثيابهُ (المعتّر!) ويعود ليسمعوهُ ارشادات جديدة لا حاجة لذكرها اذ قد عرفنا خزعبلات الماسونيّة. وانمَّا اكَّدوا للطالب انَّ الملوك والسلاطين يفتخرون بكونهم ماسوناً لا بل بجنوا في عقلهِ انَّ الماسون وحدهم متمدّنون وانَّ سواهم متسكعون في ظلمات التوحّش اذ سمعت الرئيس يقول:

« اعلم ان لك مزيّة في ثلاثة امور. اولاً في كونك ماسونياً. وثانياً في كونك مدنياً. وثالثاً في كونك عضواً من اعضاء الهيئة الاجتماعيّة »

وبعد هذا الارشاد الطويل لقّنوا الطالب الجواب على اسئلة عرضوها عليه وطلبوا منهُ صدقةً لارامل الماسون والمحتاجين منهم. هذا فضلاً عما يجب دفعهُ للجمعية

بدلًا من الشرف الذي خوَّلتهُ الماسونية لقبولهِ بين اعضائها وهكذا انتهت هذه الرواية المضحكة التي هي أولى برواسخ المشعوذين منها بنادي ناسٍ ذوي عقلٍ سليم . وانما هذا ملعب اوّل يليهِ ملاعب اخرى في الدرجات الماسونية التابعة كما سترى (لها بقية)

الله والعقل والحياة (١

لجناب الاديب حبيب جرجس اسطفان تلميذ مدرسة الموارنة برومة

١

الله والعقل

أَراهُ يبدو ضعيفًا ويُجهَدُ مُعمَدًا أُسقَ المنى يتمـجَّدُ (٢
مدحوهُ واوغلوا فحجبا أَرَ م بَ ما يشتهيه ما كان أَبْعَدْ
يدَّعي سمـمًا الى كبدِ الأر ضِ وحطًّا الى ذُرى العرش يصعَدْ
وذكاءً يُدنيهِ من أَزَلِ الدهر م ويُدني اليهِ مستقبلَ الغـدْ
ربِّ اني خبرتُ نفسي طويلا فاذا كلُّ مـا رأيتُ مُحدَّدْ
فلِمَ العقلُ وحدهُ يدَّعي أن ليس حدٌّ بهِ قُواهُ تُقيَّدْ
كيف يثوي جسمًا اذا قيس لم يَجْ زَ م ج بهِ إصبعٌ وليس لهُ حَدْ (٣

---

١) أقدمنا على افراغ هذه الحقائق الفلسفيَّة في قالب شعري وان ألجأتنا الى الاكتفاء بكلمة في ما تضيق عن بعضهِ ضخام المجلَّدات لأنَّنا لم نجد بين ابناء النهضة العربيَّة مَن عُني بتقريب الفلسفة الى اذهان قومهم فسهَّل عليهم اتباع الكاتب في مقالة طويلة لا يحلّ فيها الَّا البراهين العقليَّة ولم يزل الشعر تُلبس فيهِ الحقيقة ثوبًا يونّقهِ الخيال ويطرّزهُ وصفُ مشهدٍ تبصرهُ العين او عاطفة تضج في القلب أدنى عندنا الى الافهام . وبعد فانَّ اتّباعنا هذه الخطّة في النظم او العدول الى مقالات نثريَّة متوقّف على ما يكون من حكم الادباء في قصيدتنا هذه . . . . وقد اجتنبنا وضع الفاظ جديدة حيث مسَّت الحاجة لانَّ لنا رأيًا في ايجادها لا بدَّ من تقديمهِ وسنبديهِ قريبًا ان شاء الله

٢) الكلام في العقل يكبر من شمنهِ ما بدا واتَّضح لمَّا افاض فريق في مدح قواهُ حتى صار عندهم الحَكَم الوحيد لا حقيقة الَّا ما كان لهُ ظاهرًا وما لا يصل اليهِ محال وخرق فأنكروا من ثمَّ الوحي لأنهُ ليس في الحقائق ما لا ينتهي اليهِ العقل فيحتاج الى موحٍ

٣) ليس من العجب ان روحًا مجرَّدًا عن الهيولي يحرّك جسمًا يُقاس بالاصبع كجسمنا ولكنَّ العجب في ان يكون ذاك الروح مقيَّدًا بهذا الجسم على صغرهِ كما ترى في العقل

أَهْوَ عَنِّي بِالذاتِ والكونِ منفصو لٌ يعمُّ الورى ولا يتعدَّدْ (١
قَبَسٌ ما أضاء للعينِ لولا م الشمسُ في مشرقِ العُلى تتوقَّدْ
موجةٌ لا تلاطِمُ السِيفَ لو لم يكن اليمُّ قد أردُّ وأزبدْ (٢
لا فعقلي أراهُ فيَّ ومنّي لا توبلَّا عندي يُمالُ (٣ ويُوقَدْ
لا يعمُّ الأنامَ مثلي خصيصاً واحداً مفرداً كما أنا مُفرَدْ
ذاك زعمٌ بهِ أتانا ابنُ رشدٍ وابنُ رشدٍ بزعمِهِ لم يُرشَدْ
أم جميع الأشياء بالذاتِ فَردٌ لستَ عنهُ بمعزلٍ او بمُبعَدْ (٤
ذاتُها أنت وهي أفلاذُ ذاتِ لك في مُفسَحِ الفضاء تَعدَّدْ (٥
أنت كالعين وهي كالماء يجري انت كالشمس وهي نورك يمتدْ
انت كالكهرباء تخفى وتبدو هي كالبرقِ والرعودِ وتُشهَدْ (٦
جَهِلتْ أنها الإلهُ وخُصَّ م العقلُ بالعلمِ بينها وتفرَّدْ (٧
ربِّ حاشاك ان ينالك وصفاً ما الى هذه الرزائل يُسنَدْ
لا يزالُ الحؤول يصلُ فيها كلُّ رسمٍ أثبتُّها فيهِ مُفسَدْ (٨

١) ذهب ابن رشد احد فلاسفة العرب الى ان "العقل الذي يدعوهُ ارسطو العقل المنفصل مفصولٌ عن المادة كياناً متحدٌ بهِ اتحاد الصورة بمادّتها اتحاداً عرضياً وهو واحد في كل الناس. ولهذا الكلام نتائج فلسفية ودينية عظيمة الاهمية نضرب عنها صفحاً الآن ولا يخفى ان العقل ان كان واحداً للبشر كلهم جاز له ان يدّعي بنوع ما انّ لا حدّ له وان كان بعيد أعسر من ان يبلغ اللانهاية

٢) البيتان لايضاح نسبة عقل الافراد الى العقل العام" فانما العقل واحد كالشمس ولكلّ منهُ قبس يستنير بهِ أو كالبحر ولكلّ جزء من الشاطئ موجة تلاطمه — السِيف شاطئ البحر. وأردَّ البحر هاج وكثرت امواجه

٣) عالَهُ كفاهُ مانهُ ومأنهُ

٤) لا يتسع لنا المجال هنا لذكر المذاهب العديدة التي بدت في اعصر مختلفة تُنكر الهاً ارفع من هذا العالم خلقهُ وكوّنهُ وهي ترى الله والعالم واحداً ولا بدع ان ادّعى اذ ذاك العقل ان لا حدّ يقيده وانهُ هو الله او جزء منهُ

٥) تعدَّد تتعدَّد

٦) ليس من يجهل ان البرق والرعد مصدرهما الكهرباء

٧) الضمير في « جَهِلَتْ » لهذه الاشياء المادية فانها من نفسها ما عرف العقل من نفسهِ

٨) لا نريد بالرسم هنا ما في العقل من تصوّرات ذوات هذه الاشياء فان الذوات على ما

هي تُطوى مثل الرداء وتَبلى هي كالغيمِ يومَ ريحٍ تبدَّدْ
انت ما فيك محدَثٌ وقديمٌ باقيًا انتَ انت لا تتجدَّدْ
ربِّ انت الوُجودُ لا غدَ فيهِ لا ولا أمسِ بل حضورٌ مؤبَّدْ (١
قد سألتُ الخشاش (٢ عنك وما في باطنِ الأرضِ من ترابٍ وجلمَدْ
وسألتُ النباتَ يسكرهُ الطلُّ م فيثوي على الصعيد مُوسَّدْ
وسألتُ الوهادَ يبكي بها الماء م سماءٌ فيها سحابًا تلبَّدْ
وسألتُ الزهورَ تبسم عن صا في عقيقٍ وفضَّةٍ وزبرجدْ
وسألتُ الاطوادَ مستودَعَ الحكمة م من اقدمِ العهود وأرشَدْ (٣
وسألتُ الاطيارَ تلقي بأذنِ م الغصن سحرًا لوقعهِ يتشيَّدْ
وسألتُ البحار تقذفُ بالأموا م جِ منقضَّةً تشقُّ الجلمَدْ (٤
وسألتُ الشمس المنيرة أمْ م الخصب تحيي الممات تُذكي الجُنَّدْ
وسألتُ البدرَ الحزينَ اليف م الصمت سهرانَ والخلائقُ هُجَّدْ
وسألتُ الثواقبَ الزُّهر تسري سابحاتٍ ما بين مثنًى وموحَّدْ
كلَّ هذي سألتُ عنكَ فقالت إرقَ عنَّا لسنا إلهك واحدْ (٥
نحنُ خلقٌ من بعد ان لم نكن او جدَنا وهو حافظٌ ما اوجدْ
هو ادنى منَّا الينا وعنَّا أسمى الكائناتِ ذاتًا وابعَدْ (٦
مالئٌ الكونِ حاويًا غيرَ محويٍ م تعالى عن أن يُضمَّ ويُحشَدْ (٧

في العقل لا تتغيّر ولكنّنا نريد رسمها كما هي خارج العقل مع اعراضها كالرسم الفوتوغرافي مثلًا

١) الفرق بين الابد والزمان ان الاوّل حضور دائم ثابت والثاني لا ثبوت لهُ

٢) الخشاش حشرات الأرض

٣) قلت ان اقدم العهود ارشدها لأنّهُ زمان كان آدم في فردوسهِ يتنعّم والله يرشده ويهديهِ وليس وصفنا هنا فلسفيًا

٤) الجلمود الصخر الصلب

٥) معنى هذه الايات مقتبس من القديس اوغسطينوس: (Confess., Lib. X, c. VI)

٦) الله قريب من كل شيء فهو في كل مكان حافظ كل ما خلق غير أنّهُ ذاتيًا ابعد الكائنات من هذا العالم الذي نراه فهذا متغيّر وهو لا يتغيّر هذا حادث وهو لازم الوجود الخ

٧) قلت ان الله موجود في كل مكان ولكنّهُ غير محويّ في ما وُجد فيهِ والّا لزم ان يكون

ولهذا انی التفتُ اری انَّكَ م في كل ما أُشاهدُ توجدْ
ربِّ اني شهدتُ انَّك في الما لم لا ذاتهُ وما زلتُ اشهدْ(١
ربِّ .اذا إذن أهابَ (٢ بهـذا م العقل حتى اتى بما لا يؤيَّدْ
ربِّ رحمـاكَ أنهم أفسدوهُ م ولكم اعجبَ المديحُ فأفسدْ(٣
ربِّ لستَ المقيمَ للعقل عذراً لن يكن ضلَّهُ المديحُ وشرَّدْ
أنهُ ربِّ خادعٌ نفسـهُ ليس م حقيقاً بان يُحـامَى ويُنجَدْ(٤
عذرهُ ضعفهُ ويكفيـهِ ذلاً يدعي قوةً وبالضعف يُعتَدْ
ليتـهُ يسمع الذي أنا أرويهِ م فيدري ان قد طغا وتزيَّدْ(٥
انا اروي لهُ واصدقُ كم قا لَ بوصف الحيوة قولاً مُفنَّدْ
مالهُ يترك الذي فوقـهُ إن كان في ما من دونهِ لا يُسدَّدْ

٢

الحيوة

أبنتَ الهديل عدَتكِ العدَى أنوحاً سجعتِ الضحى ام غِنا (٦
أشاقكِ زيعُ الصباح لثامَ م الدُجى شجاكِ اليفٌ نأى
اذا كان ذاكِ فشدوُكِ نوحٌ ونوحكِ شدوٌ اذا كانَ ذا (٧
مسـتِ الفؤادَ ولم تفصحي فهجتِ وأغريتِني بالبُكا

محصوراً محدوداً ومن كلام القديس اوغسطينوس مناطباً العزَّة الالهيَّة « أم لا تحتاج حاوياً الكل ان يحويك شيء لأنَّ ما تملأهُ تملأهُ حاوياً اياه » (Confess., Lib. 1. c. III)

١) لأنَّ الله كما تقدَّم موجود في كل مكان بعيد ذاتاً عن كلِّ شيء

٢) أهابَ الراعي بغنمهِ صاح بها وهو هنا بمعنى دفع وصدا

٣) أفسدَ العقلَ مَن اقامهُ الحكمَ الفرد في كل حقيقة

٤) لئن مدح قوم العقل فانَّما هم بمقامهم مدحوهُ فكان العقل مصدر ضلال لنفسهِ

٥) طغا جاوز القدر والحدّ. وتزيَّد الرجل في حديثهِ زاد فيهِ ما ليس منهُ

٦) المراد ببنت الهديل الحمامة لانَّ الهديل صوتها كما قال المعرّيّ :

أبناتِ الهديل أسعدنَ أو عدْ نَ قليلَ العزاء بالإسعاد

وعدتكِ العدى اي جاوزتكِ وتحوّلت عنكِ

٧) لأنّي لا افهمها ولا أُميّز بين نوحها وشدوها فكلاهما لي واحد

اذا ملك القلبَ شأنٌ يردُّ	اليهِ جميعَ الشؤونِ الفتى
وقد تشتكينَ الذي أشتكي	ودادًا قديمًا وعهدًا خلا
وقد ترتجينَ الذي أرتجي	ولكنَّهُ عودُ ما قد مضى
بكيتُ لسجعكِ بنتَ الهديل	ولم يُبكني صدعُ صَلدِ الصفا
لأنكِ يغريكِ بُعدُ الأليفِ	وذا لا يحسُّ اذا ما اقترى
وزانتكِ انت حُلى للحيوة	وذا عُطْلٌ لم تزنهُ الحلى
وفي جميع الذي فيكِ منها	وان كنتُ أرفعَ منكِ بها (١
ولولا حياتُكِ لم تسجعي	ولولا حياتيَ لم أبتلى
فما هيَ هذي الحياةُ التي	سجعتِ بها فأثرتِ الشجا
يقولونَ ما في الحياةِ جديدٌ	وانَّ جمادًا وحيًا سوا
وما غيرُ الماءِ بالذاتِ أن	ترى جَمَدًا في الذرى او جرى (٢
ولا غيرُ الصوتِ معناهُ أنْ	رماهُ امروٌ او رماهُ صدَى
ذرَّاتٌ تحرُّكُ ليس الحيو	ةُ إلّا نتاجَ انضمامِ الذرا (٣
فكوّن منها نباتُ الوهادِ	وكوّن منها زهورُ الربى
وكوّن منها سجينُ البحار	وكوّن منها طليقُ الفضا
وكوّن منها الكيانُ الصغير	امير الخلائق مولى الحجا (٤
اذا لم يكن كافيًا للحيوة م	الحراكُ تنجدهُ الكهربا (٥

١) الضمير في «منها» للحيوة وهي في الانسان تشمل ما في النبت والحيوان وتزيد عليهِ العقل

٢) يزعمون أن لا فرق بين المادَّة ساكنةً في الجماد او مظهرةً الحركة في الحيّ كما انهُ لا فرقًا جوهريًا بين الماء سائلًا في الوهاد او جامدًا في الجبال

٣) يدَّعون ان ليس في العالم الَّا ذرَّات تتحرَّك تختلف الاجسام باختلاف انضمامها الى بعضها ومنها كوّن كلُّ ما تراهُ من جماد وحيّ

٤) الكيان الصغير الانسان المدعوّ عالمًا صغيرًا وهو حقيق بهذا الاسم لسببين امَّا اوَّلًا فلأنهُ جامع صفات كل الكائنات ففيهِ ما في الجماد وما في النبات وما في الحيوان وفيهِ ما في الارواح العليا . واما ثانيًا فلأن الاشياء ترتسم في عقلهِ كأنَّهُ ضمَّها الى نفسه

٥) هذا فريق آخر رأى ان الحركة والذرَّات لا تكفي لإبداء الحيوة ففزع الى الكهرباء والحرارة وما ظهر من قوى الجماد وما لم يزل خفيًا مما لم تمتد يدٌ اليهِ

وما في الجمادِ من الظاهراتِ وما فيهِ من غامضات القوى
تُعرَفُ اذ ذاك كنهُ الحيوة ويُكشَفُ عمّا تُسِرُّ النطا
إلهيَّ سبحانك القولُ هذا وتشهدُ لي قولُ من قد غَوَى (١
ألم تحوِ ما سجعَتْ فبكيتُ سوى ما أضمَّ الصخور حوَى (٢
اذا الزهرُ طفلُ الجبالِ ابتسامُ م الرياضِ النواضر تجلى البها
تشوقُ السماءَ الى عطرهِ فتباعُ بالدرِّ منهُ الشذا (٣
ولا تُمكِّنُ الشمسُ من ان تراهُ اذا لم تجدْ بعبيم الضيا
وليس تنالُ الصَّبا لثمهُ اذا لم تلاعبهُ كفُّ الصبا
شبيهٌ بما حولهُ من ترابٍ يُداسُ ولا عطرَ فيهِ ولا...
اذا الحمَلُ الفاقد الامَّ يعدو ويقفزُ مختبلاً كالظبـا
كأنَّ برجليهِ مطّـاطةً اذا لمس الارضَ حالًا نزا (٤
يجذُّ القطيع هنا وهنا لا يميلُ بفيهِ طريَّ الكلا (٥
فأيُّ مضيقٍ رآهُ أتاهُ وايُّ حلوبٍ رآهـا ثغا (٦
وآسمهُ الامُّ يثغو فتثغو وتعدو اليهِ تغذُّ الخطى (٧
وترأمهُ حين يدنو فيهوي على الضرعِ يمتصُّ دَرًّا حلا (٨
يشابهُ في فعلهِ الصخرَ يجهلُ م معنى الفراقِ ومعنى اللقا
اذا الابُ يرجع عند المساءِ من الشغل قاسى جايل العنا
قضى اليومَ حرثًا وزرعًا ليحيي بما هو يحييهِ بعـد الردى (٩

١) غوى ضلَّ. وجملة « وتشهد لي » معترضة بين المبتدأ والخبر
٢) ما اسم موصول يراد بهِ الحمامة المذكورة في اوَّل القصيدة
٣) المراد بالدرِّ هنا الندى
٤) نزا وثب وقفز ٥) الكلأ العشب
٦) الحلوب الشاة تُحلب. وثغا صاح وصوَّت
٧) غذَّ السيرَ أسرع
٨) ترأمهُ تعطف عليهِ. والدَّر اللبن
٩) قد يكون الانسان بعد موتهِ حيوةً لما كان حيوتهُ وذلك اذا عاد جسمهُ ثرًى فأُلقيت فيهِ الحبوب فعاشت بهِ وقد كان يحيى بها

يرى زوجهُ وقفتْ بانتظا رهِ تحمل الطفلَ ضافي السّنا
فيأتي الأداةَ ويبقي بعيدًا وكلُّ عناء النهار انقضى
يمدُّ يديهِ ويدعو الصغيرَ وهذا اذا ما دعاهُ زقى (١
وصفّق يبسم عن لؤلؤ نثير ونحوَ ابيهِ هوى
يودُّ الوصولَ اليهِ ولكنّهُ م بعدُ واهي القُوى ما مشى
وقد وقفَ الأب عنهُ بعيدًا ليبصرهُ ماشيًا لا جثا
فتمسكهُ أمهُ باليدين فيقبل نحو الأبِ الخيزلى (٢
فيرفعهُ حين يدنو اليهِ كأنَّ الوليدَ نسيمٌ دنا
يقبّلهُ وهو يلطمُ لحيا لناعم خديهِ منهُ أذى
يمدُّ بهِ ساعديهِ فيرقي وتضربُ منهُ اليدانِ الهوا
وتبسم للمشهدِ الامُّ كلَّ م السعادةِ بابنٍ وزوجٍ ترى
يماثلُ مع عرسهِ وابنهِ بما اظهروهُ سكوتَ الحصى
لعمريَ بين جمادٍ وحيٍّ من الفرقِ ما لا ينالُ الخفا
فأصلُ الجمادِ ذراتٌ تحللُها م لو تُركِّبها الكيميا (٣
ولستَ ترى جسدًا ذا حيوةٍ اذا لم يكن من حيوةٍ نشا
وهذا الجمادُ اذا ما تبلوَ م رَ هندسةً وقياساً رعى (٤

١) زقى صاح

٢) الخيزلى مشية فيها تثاقل وتفكك

٣) بعد ان قال ان بين الجماد والحي فرقًا واضحاً لا يحجب شرع بتفصيل هذا الفرق فذكر اولًا ما كان منهُ بين اصل الجماد واصل الحي فالاول يبدو بتحليل كيماوي والثاني لا يبدو الا اذا أنتجهُ حيٌّ مثلهُ

٤) يقال تبلور الجماد اذا حصلت لهُ صورة وهيئة هندسيَّة بانتقاله بطيئًا من كونهِ غازًا او سائلًا الى كونهِ جامدًا ولكلّ جسم صورة خاصّة بهِ اذا تبلورَ تفصلهُ عن غيرهِ . وقد رأى البعض في ذلك قربًا بين الجماد والحي لان لكليهما هيئة وصورة خاصَّة الَّا انَّنا نرى ثمَّ ما يفرقهما لا ما يقرّبهما لانَّ الجماد اذا تبلور رُوعيت فيهِ الاقيسة الهندسيَّة وكان في تركيبهِ وصورتهِ من البساطة ما يدلّ على الموت والسكون وهذا الحيّ يتركَّب ولا قياس هندسي يحفظهُ بل تحفظهُ قوَّة يدلّ على وجودها ما فيهِ من ميل في الخطوط وتعقيد في التركيب ولو ان تلك القوَّة ليست فيهِ قابلةً الانحلال

وذا الحيُّ مالَت بتركيبِهِ م الخطوطُ ودونَ قياسٍ جرى
كثيرُ الضميمِ مثالَ الوفاقِ عديمُ النظامِ نظاماً غدا (١
ترى كلَّ ما فيهِ يسعى لخيرِ م العمومِ ودفعِ الأذى أينما . .
وتمضي عليهِ القرونُ وكلٌّ قريبُ الوجودِ كنائي النَّا (٢
اذا لم يَحِلْ بالجمادِ غريبٌ على حالِهِ ظلَّ طول المدى
وذا الحيُّ ليس يلاقي سكوناً فإمّا استقرَّ فذاكَ الثَّرى (٣
يحرِّكُ ليس يَني نفسَهُ زماناً اذا ما تقضَّى قضى (٤
جنينٌ فطفلٌ فيَفعٌ فنِصفٌ فكهلٌ فشيخٌ فبعضُ الثرى (٥
وهذا الجمادُ اذا ما نما بضمِّ غريبٍ اليهِ نما
وما الحيُّ ينمو بضمٍّ ولكن بفعلٍ يحيلُ اليهِ الغِذا (٦
فان يكنِ الحقُّ ما يدَّعون وأين من الحقِّ ما يُدَّعى
فهذي الحرارةُ والكهرباءُ وهذا الحراكُ وباقي القوى (٧
لِيُبدوا الحيوةَ بتأليفِها فنترك ما كان يبدو لنا

---

١) يضمّ الحي من الذرّات عدداً لا يُحصى بيد انّهُ مثال الوفاق كما يبيّن البيت التالي وقد قيل في البيت السابق ان الحي جرى دون قياس فهو من ثَمّ عديم النظام غير انّهُ رغماً عن ذلك نظام وقياس اوّلاً بما فيهِ من الاتفاق بين اجزائهِ وثانياً بحفظ صورتهِ في كل افرادهِ فهي قياس لها

٢) تمرّ القرون وكلّ مولود من الحي جديد يماثل ما في من زمن بعيد من ذلك الجنس ومن هنا يتّضح انّ في الحيّ قياساً

٣) ليس الجماد ان يعمل مؤثراً في نفسهِ فاذا صُرف عنهُ ما يحيل بهِ عن حالتهِ بقي عليها أبداً والحيُّ بعكس ذلك ليس يلاقي سكوناً فإنّ في سكونهِ هلاكهُ وفناءهُ . والثّرى الهلاك

٤) قيل ان الحي ليس يلاقي سكوناً ولكنّ حركتهُ المستمرّة ليست من الخارج بل من داخلهِ وهذا اعظم فرق بين الجماد والحي الجماد لا يعمل الّا في غيرهِ والحيّ يعمل في نفسهِ الى امد لا بدّ بعدهُ من ان يموت . وكلامنا هنا في الحيوة النباتيّة والحسيّة فقط

٥) ما ذُكر في هذا البيت من تفصيل حيوة الانسان يُطلق على كل حي

٦) ينمو الجماد ويزيد بضمّ غريب عنهُ يظلّ عنهُ غريباً ذاتاً وان قُرن اليه والحيّ ينمو بان يُحيل اليهِ غذاءهُ ويجعلهُ بعض ذاتهِ . وانّ بين الجماد والحيّ فروقاً اخرى وفي ما ذكرناه كفاية

٧) ذُكر الحراك بين القوى مجاراةً للخصوم والّا فحركة الانتقال ليست قوّة بل نتيجة فعل قوّة

يقولون هذا لنا لا يتمّ ... ولكنّهُ تمّ في ما مضى
بوقتٍ بهِ لظهور الحيوة ... على الارض أكيلَ ما يقتضى
وسوف يُنالُ اذا ما بلغنا ... من العلم بعض الذي يُرتجى
ألا ما مضى ليس فيهِ دليلٌ ... وما سيجي فسوف ترى .
وقد يزعمُ البعضُ انَّ الحيوة ... اتت ارضنا من اراضي السما
جراثيمُ قد بَرِحت دارَها ... تطوف الفضاء فحلّت هنا
او انَّ النيازك جاءت بها ... فلاقت على الارض كلّ احتنا
فعاشت تنقَّلُ من حالةٍ ... الى حالةٍ من كيانٍ إلى.
نباتٌ بلا حاسَّةٍ حيوانٌ ... لطيفُ الحواس امرؤٌ ذو نُهى
وقد يدّعي البعضُ ان لم يكن ... على ارضنا للحيوة ابتدا
فمن ازلِ الدهر بانت عليها ... وكانت لظىً حين كانت لظى (١
فلِمْ هذهِ المضحكاتُ وهذا ... التمحّل في قولهم والمِرا
ألا كلُّ ذا لكفاء الاله ... عن الكونِ إن هو منهُ دنا (٢
فمي يا سماءُ ويا ارضُ سمعاً ... ويا بحرُ مَهْ وانصتي يا ذُرى (٣

---

١) اعجب لهذا الانسان اذا حيل بينهُ وبين الوصول الى الحقيقة او لم يشاء الاقرار بما ظاهرة لاس في النفس أسرع الى ابعادها عنهُ كأنّهُ بذلك بلغ راحة العقل وأحال عنهُ مناءها وانت ترى ان هؤلاء لمّا لم يتمكّنوا من ايجاد الحياة بتركيب الجماد لجأ بعضهم الى زمن ماضٍ قديم ونظر البعض الى الكواكب فرأى فيها مصدر الحياة ومقرّها ودعاها اراضي السماء. كأنّهُ لم يبق مجال للبحث في كيفيّة نشوء الحياة هناك فضلًا عن استحالة وصول الجراثيم حيّة الى ارضنا لانّ اشعّة الشمس تميتها في الطريق . وقد رأى هذا المحال بعض فقالوا انّ الحياة أتت ارضنا بها النيازك وهي هذه الحجارة التي تتساقط من السماء . ومن العجب ان يقول هذا من يعرف شدّة الحرارة التي تحرق هذه النيازك بمرورها في الهواء وسقوطها على الارض. وقد رأى صحّة كل هذه پراير (Preyer) فزعم ان الحيوة لم تبتدئ على الارض وأنّها كانت عليها منذ الازل واذا قلت ان الارض كانت قبلًا كرةً نارية اجابك: كانت الحيوة نارًا حتى اذا بردت الارض تغيّرت الحيوة. وفي هذا منتهى التحكّم والتمحّل وهو حطّة بقدر الفلاسفة

٢) لقد أتى الخصوم بكل ما ذُكر للتخلّص من تداخل الله في شؤون العالم وايجاد الحيوة بقوّتهِ. وكفاهُ من الشيء صرفهُ وصدّه

٣) نصت استمع للحديث

أيبتدعُ اللهُ هذا الوجودَ فيُضحي الوجودُ عليهِ جَمى
إلهي لكَ الكونُ اجمعُ ملكٌ فتفعلُ في ما حوى ما تشا
فإن يزنِ الأرضَ نورُ الحياةِ فأنتَ مصدرُ ذاكَ الضيا
وان ينعشِ الارضَ منها النسيمُ فليس لهُ من سواكَ نشأ (١
حبوتَ بها الارضَ لمّا الزمانُ الذي كنتَ حدّدتَ قبلاً أتى
فأخرجتِ الارضُ نبتاً وزهراً أجلُّ طرازٍ لابهى ردا
فطافَ بانواعهِ الحيوانُ م القفارَ وخدَّ (٢ هواء وما
فصاغَ لكَ الشكرَ نورٌ زها وصاغ لكَ الشكرَ طيرٌ شدا
ولا شكرَ ثمَّ لأنْ ليس عا قلٌ ما افضتَ عليهِ دَرى
ولا روحَ في النبتِ والحيوا نِ مها ادَّعى غيرُنا وارتأى
فليس بافعالها من دليلٍ يُبينُ أنِ الروحُ فيها ثوى (٣
ولكنّها صورٌ قد رقت اليها موادٌ أعدَّت لها (٤
الى ان ختمتَ بآدم مـا بقولكَ كُنْ في الكيانِ بدا

١) النشاء مصدر نشأ ٢) خدَّ شقَّ

٣) ذهب البعض الى ان في النبت والحيوان نفساً روحية . وهؤلاء ايضاً بمعزل من الحقّ فان افعال النبات والحيوان كلّها مادية ولو كان ثمَّ روح لظهر فعل يُنسب اليها . وغريب انَّ هؤلاء يبدأون مما بدأ منهُ من قال أن لا فرق بين الحيّ والجماد وان اختلفت النتيجة كل الاختلاف فان كلا الفريقين يزعم ان ليس في المادّة الّا قوى طبيعيّة وكيماويّة ردَّ اليها البعض قوى الحيوة وهذا هو الفريق الذي لا يرى فرقاً بين الجماد والحيّ . واقصاهما عنا الفريق الثاني ولمّا لم يجد وسيطاً بين المادّة والروح قال ان في النبت والحيوان روحاً . ولا يصحّ ان يُنسب الشكر الى النبت والحيوان فإنّهُ يقتضي معرفة العلّة والمعطي وليس ثمَّ عقل تحصل بهِ هذه المعرفة

٤) لا ينجم عن انكارنا وجود الروح في النبت والحيوان أنّنا لا نجد فرقاً بينهما وبين الجماد ذاتياً فنحن نرى ان كلّ جسم مركّب من مادّة وصورة وكلتاهما من ذاته . فالمادّة وهي ما يُدعى المادّة الاولى او الهيولي لا صورة لها بنفسها ولا يمكنها ان توجد بدون ان تتّحد بالصورة والصورة ايضاً لا توجد الّا اذا اتّحدت بالمادّة فهما متلازمتان وان بعض الصور ارفع من بعض فترتقي المادة من أدناها الى اعلاها وليس نفس النبات والحيوان الّا من هذه الصور . امّا نفس الانسان الروحيّة فانّها تبلغ ارفع ما يمكنها الوصول اليهِ بتجرّدها من المادّة وان كانت مرتبطة بالجسم الهيولي

قرنتَ بمادةٍ مع روحٍ   فتمَّ اضدَّين فيه إخـا
فذا الحيُّ لا ما ادَّعوا والحيا   ةُ فعلٌ بهِ لازمٌ لا سوى
وهذي مراتبهـا في المواد   وهذا نشوءٌ وهذا ارتقا
وهذا هو الحقُّ مَن يلتمسْ   بهِ بدلًا فهو منـهُ بَرَا
وَرِثناه نحفظُهُ ثمَّ نُودِ   ثهُ ليس يقربُ منهُ البلى (١
ونشكرُ مَن قد هدانا الصراط   م القديمَ فنهُ مفاضُ الهُدى
وإمّا شكرنا فشكرٌ عليمٍ   درَى الفضلَ منهُ وغرُّ اللَّهى
الهي لك الحمد هذا الكيانُ   برأتَ ولم تتركنهُ سُدى
وانت الحيوة ومنك الحيوة   وكلٌّ كمالٍ اليك انتمى
ومنك اليها ابتداء الوجودِ   ومنّا اليك بهِ الانتهـا

*

ربِّ عفوًا فقد بدى الحقُّ للعقـــلِ صريحًا ولن يعودَ فيُجحَدْ
أيها العقل ان حصرتَ عن الحـــقِّ فبادر الى الملكْ تُنجَدْ (٢

١) من المضحكات ان امين افندي الريحاني في مقالتهِ « بين العلماء واللاهوتيين » في البرق عدد ٦١ يدّعي ان « فرانس الاكليروس ارتعدت عند اول ظهور عقيدة النشوء والارتقاء » فأحيلُ امين افندي على تاريخ الفلسفة في النصف الثاني من القرن الماضي ولو كان عندي الامين بحيث يراهُ غيري لأحلتهُ على ذاكرتهِ فيرى ثمَّ مؤلفاتٍ تكاد لا تُحصى لفلاسفة الكنيسة (كذا) يثبتون فيها ما ورثوهُ من الحقائق (امين افندي يدعوها اعتقادات !) لا يحابون داروين او سواه ولن يخشى سيف الحقيقة من الباطل انثلامًا . ومن الغريب ان الامين بعد ان ذكر ارتعاد فرانس الاكليروس عند اوَّل ظهور عقيدة النشوء والارتقاء لم يذكر ابتهاجهم وقد « اخذت الآن عقيدة النشوء والترقي بالتغيّر . والترقي وترقيها هذه المرَّة الى اسفل لا الى أعلى » فكأني بهِ ينكر على الاكليروس حقَّ امتلاك البشاشة وهي من « جواهر الحيوة الثلاث الثمينات » أو يخاف من ابتهاجهم على بشاشته فانهم انَّما يبتهجون بالحقيقة ومن الناس من تذهب الحقيقة ببشاشتهِ

والغرب من هذا ان الامين ينكر على العقل ان يبحث في الحقيقة وفي اصل الانسان ومصيرهِ ويدعوهُ الى اجتناب تنازع العلماء واللاهوتيين وهو بعد هـذا يريد من الانسان ان يحافظ على عقلهِ . فكيف يكون هذا يا امين افندي تُفقدنا العقل وتريد منّا ان نحافظ عليهِ ؟ هذا مثل من يثقب اسفل الجرَّة ليحفظ ماءها . ألا اين من الفلسفة من يَرى العاقل من لا عقل لهُ ولولا ظني بالامين انهُ فطن لبيب لخشيتُ ان يكون قولهُ هذا نتيجة اختبارهِ نفسهُ وصاحب البيت أدرى

٢) حَصِرَ من الشيء تعذَّر عليهِ الوصول اليهِ

أيها الناس لا تضلّوا فإنّ م الكونَ للواحد المكوِّن يشهدُ
واعبدوا الله واتّقوه فمن بعد م حيوةِ الفنا حيوةٌ تخلَّـدُ

اولياء الله في لبنان

نظرٌ تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ب

﴿ باخوس ﴾ هو القديس الشهيد باخوس رفيق القديس سرجيوس او سركيس واللبنانيون يكرمونهما كليهما معاً فنذكره مع القديس سرجيوس في محلّهِ

﴿ باسيليوس ﴾ هو القديس باسيليوس الكبير اسقف قيسارية في بلاد قبادوقية ومنشئ الحياة الرهبانية في انحاء آسيا الصغرى. ولد سنة ٣١٦ للمسيح من أسرة صالحة تُكرِم الكنيسةُ معظمَ افرادها لقداستهم وبعد ان درس العلوم الشائعة في زمانهِ على اشهر المعلّمين في القسطنطينية وأثينا عدل الى العلوم الدينية وجحد العالم واباطيلهُ واخذ مبادئ العيشة الرهبانية من سيّاح مصر في الصعيد ثم عاد الى وطنهِ ونشر في بلادهِ النسك والزهد فحوّل القفار الى اديرة زاهرة بالفضائل. ولمّا دُعي بالرغم منهُ الى ادارة كنيسة وطنهِ صار قدوةً لكل اساقفة زمانهِ بما ابداهُ في منصبهِ من الفضل العميم. ولم يخفْ ان يعارض الملوك انفسهم للمدافعة عن حقوق الكنيسة فقاسى من الاريسيين ومن الملك والنس اشدَّ الاضطهادات لكنّهُ انتصر منهم جميعاً وبقي في ادارة شؤون كنيستهِ الى سنة وفاتهِ في ١ ك ١ من السنة ٣٧٦. وعيدهُ في الكنيسة الشرقية في ذلك اليوم مع القديس غريغوريوس النزينزي. امّا الكنيسة اللاتينية فتعيّد لهُ في ١٤ حزيران يوم ارتقائهِ الى المنصب الاسقفي. واللبنانيّون لاسيما الروم منهم والرهبان يكرمونهُ وقانونهُ شائع بين الرهبان الملكيين. تجد ترجمتهُ في اعمال القديسين للبولنديين في ١٤ حزيران. اطلب ايضاً مكتبة القديسين اللاتينية (BHL 153) واليونانية (BHG, 37) والشرقية (BHO, 40)

﴿ بطرس الرسول ﴾ هو القديس بطرس هامة الرُسل ونائب السيد المسيح في تدبير كنيستهِ جماء الذي استشهد في رومية مع القديس بولس الاناء المصطفى على عهد نيرون الملك المتصب سنة ٦٨ للميلاد بعد ان ساس الكرسي الانطاكي سبع سنوات

والكرسي الروماني ٢٥ سنة (اطلب المشرق ٩: ٦١١)٠ والكنائس الشرقية عموماً تحتفل بذكره كالكنيسة اللاتينية في ٢٩ حزيران. والشرقيون حتى الروم منهم والنساطرة واليعاقبة كانوا يستعدّون لعيده بصوم طويل وهم اليوم اكراماً له ينقطعون عن اكل اللحوم والبياض. وكفى بذلك دليلاً على اقرارهم برتبته السامية في مصافّ الرسل ورئاسته على كنيسة المسيح. وفي لبنان عدّة كنائس على اسم الرسولين يرتقي تاريخ بعضها الى زمن قديم كمار بطرس الماقورة. راجع جميع السنكسارات الشرقية في ٢٩ حزيران ومكتبة القديسين اللاتينية (BHL, 966) واليونانية (BHG, 207) والشرقية (BHO, 205)

﴿ بنديلمون ﴾ هو اسيا الشهيد الذي سبق ذكرهُ لكنّهُ يكرم بهذا الاسم في بجدرفل في بلاد البترون وفي كنائس الروم كافّة.

﴿ مار بولا ﴾ هو القديس بولا الناسك اوّل الحبساء. الذي كتب سيرة حياته القديس ايرونيموس (اطلب مجموع الآباء اللاتين لمين P. L. XXIII, 17-28)٠ خرج سائحاً الى براري الصعيد ايّام دقيوس الملك فعاش منفرداً عيشة الملائكة ممارساً لكل اعمال الزهد والصلاح الى ان أُوحي الى القديس انطونيوس الكبير بان يقصدهُ في منسكه ففعل واجتمع به واقتسم معهُ رغيفاً من الخبز أتى به غرابٌ كان يأتي لبولا قبل ذلك كل يوم بنصف رغيف. ولمّا طلب من زائره أن يأتيهُ برداء كان وهبهُ اياهُ القديس اثناسيوس ليدفن به جسدهُ خرج انطونيوس ليأتي به وما كاد يعود الى منسك بولا حتى اراهُ الله نفسهُ صاعدةً الى السماء بصحبة الملائكة فلفّ جسدهُ الطاهر في رداء اثناسيوس ودفنهُ في حفرةٍ حفرها بيراثنهما اسدان كان الله ساقهما من البرّية لتلك الغاية. توفي القديس بولا في ١٠ كانون ٢ سنة ٣٤٣ وعمرهُ نحو ١١٥ سنة. ومار بولا مكرَّم في لبنان وعلى اسمه بعض اديرة للرهبان و بعض كنائس. وعيدهُ في الكلندارات الشرقية في ٥ ك ٢٠ وله ذكر في اليوم العاشر وفي ١٦ منهُ. امّا الكنيسة اللاتينية فتذكرهُ في ١٥ من هذا الشهر. اطلب ترجمته في مروج الاخيار (ص ٤٠) وفي تراجم البولنديين (Acta SS, 1, 200) في ١٠ كانون الثاني ك ٢٠ واطلب ايضاً مكاتبة القديسين اللاتينية (BHL, 957) واليونانية (BHG, 204) والشرقية (BHO, 200)

﴿ بولس الرسول ﴾ المعروف بالاناء المصطفى ورسول الامم. قصّة اهتدائه

وكثير من مآثرهِ مزبورة في سفر اعمال الرسل · استشهد مع القديس بطرس الرسول وهو يُكرم معهُ في يوم واحد ويُذكر خصوصاً في غد العيد كما انَّ ذكر اهتدائهِ واقع في ٢٥ ك ٢ · اطلب مكاتب القديسين الثلاث : اللاتينية (BHL, 953) واليونانية (BHG, 202) والشرقية (BHO,195) . واكرامهُ منتشر في كنائس لبنان

ت

❖ تادروس ❖ يُكرم مار تادروس في اصدون قرب زغرتا وفي مشمش في بلاد جبيل ويسمّى ايضاً تاودروس · واعلم ان كثيرين من الشهداء عُرفوا بهذا الاسم واشهرهم تادروس الشهيد الذي وُلد في اماسيا من اعمال بُنطس وتجنَّد في العسكر الروماني وعُرف لذلك باسم تيرو (tiro) اي المتجنّد فعرَّب الشرقيون اسمهُ بالتيروني · وقد استشهد هذا في عهد ديوقلطيانوس ومكسيميانوس في اوائل القرن الرابع · وانَّما ادخل الكُتَّاب في ترجمتهِ عدَّة اخبار غريبة كما في قصَّة القديس جرجس لا حاجة لذكرها · وعيدهُ في الكلندار الماروني في ٨ شباط وفي الكلندار اللاتيني في ٩ تشرين الثاني · اطلب ترجمتهُ في مروج الاخبار (ص ١١٠) وفي مكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 1170) واليونانية (BHG, 249) والشرقية (BHO, 200)

وكثيراً ما يخلط الكتبة بين هذا الشهيد وبين تاودروس آخر شهيد كان ايضاً جندياً وقيل قائد جند في ايام القيصر ليقينيوس في اواسط القرن الرابع استشهد في هرقلة وعيدهُ في الكنيسة اليونانيَّة في ٧ شباط اما في الكنيسة اللاتينية ففي ٩ تشرين الثاني · وربَّما نسبوا الى الواحد اعمال الآخر ويدعوهُ اليونان بالقائد (στρατηλάτης) اطلب ايضاً كتاب الاب دولهساي اليسوعي في القديسين الجنود (Delehaye : *Les légendes grecques des saints militaires* , p. 151)

❖ ثلالاوس ❖ او ثلالاوس يكرمهُ الرهبان اللبنانيون وقد عرف رجلان بهذا الاسم فالواحد شهيد استشهد في ايام الملك نومريان سنة ٢٨٤ في بلاد قيليقية وكان اصلهُ من لبنان يتعاطى الطبَّ فلمَّا أبى ان يجحد ايمانهُ قُطع رأسهُ في عين زربة (اطلب كتاب الاب لامنس تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار ١ : ١٠١) وذكرهُ وارد في اعمال القديسين والكلندارات الشرقية وفي كلندار ربّن صليبا (Peeters : *Le Martyrologe de Rabban Sliba*, 153 et 183) في ١٠ أيار راجع مكتبتي

القديسين اليونانية (BHG, 242) والشرقية (BHO, 200) . اما تلالاوس الآخر فذكرهُ واقع في الكلندار الماروني في ٢٧ شباط . قال في سنكسارهم نقلًا عن التاريخ الرهباني لتاودوريطس (Theodoretus: *Hist. religiosa*, c. 27) انّهُ كان من سكّان الثغور فذهب الى مدينة جبلة فرأى هناك تلًا عاليًا بعيدًا عن المدينة عشرين غلوة فيهِ مسكن للشياطين (اي الاصنام) فآثر الناسك هناك فشيّد لهُ كوخًا سكنهُ ومارس فيهِ اعمال النسك ٣٠ سنة ومات بالسلام . عاش في القرن الخامس للمسيح اطلب مكتبتي القديسين اليونانية (BHG, 242) والشرقية (BHO, 251) والظاهر انّ هذا الناسك هو المكرَّم في لبنان ليس الاوّل

ج

﴿ جرجس ﴾ هو القديس الطائر الشهرة في الشرق والغرب معًا . وعيدهُ واقع في كل الكنائس في ٢٣ نيسان . امّا اخبارهُ فمضطربة جدًّا غلبت عليها الاقاصيص المختلقة العجيبة وقد روينا شيئًا منها في المشرق بنسبة المائة السادسة عشرة لاستشهادهِ (المشرق ٦ : ٣٨٥ و٥٢٦ ثم في ١٠ : ٤١٤) وقال في السنكسار الماروني عنهُ انهُ « كان من مدينة برجه في بمفيلية فقبض عليهِ الوثنيّون لانهُ هدم تماثيل الاصنام فشووهُ اوّلًا ثم البسوهُ خفًّا من حديد مسمَّرًا بقدميهِ وسحبوهُ وراء خيل غير مروَّضة . وخلّصهُ الله من هذا كلّهِ . ثم طرحوهُ في اتون مضطرم فلم يؤذهِ واخيرًا صلبوهُ ورموهُ بالنشّاب وهو مصلوب فاقام على الصليب ثلاثة أيام ثم استودع روحهُ بيد الربّ » . فترى انهُ لم يذكر استشهادهُ في بيروت ولا قصّة التنين . وبالاجمال نقول انّ غاية ما يُعرف عن هذا القديس انّهُ كان جنديًا نصرانيًا وانهُ مات في سبيل الايمان في عهد ديوقلطيانوس نحو سنة ٣٠٤ للمسيح . اطلب اعمال القديسين (Act. SS., Apr. III, 101) ومكاتب القديسين اللاتينية (BHL, 502) واليونانية (BHG, 93) والشرقية (BHO, 73)

ح

﴿ حوشب ﴾ يُكرَم هذا القديس في بقاع كفرا وبعض جهات الجبّة ووادي قاديشا وقد بقينا محتارين مدّةً في امرهِ . وقد طلبنا من حضرة الاب بيترس من جماعة البولنديين رأيهُ فيهِ فاجاب انّ حوشب تصحيف « حدبشابا » بمعنى عبد الاحد وهو كاسم دومنيك عند اللاتين . وحدبشابا (ܚܕܒܫܒܐ) احد السيّاح الذين يكرمهم السريان في طور

عيدين ولهُ ذكر في كلندار ربّان صليبا (ص ١٧٧) وهو يُسمّى هناك ܚܘܫܒ (حوشب) ويقال عنهُ انهُ كان من تلامذة صمويل القرطميني وانهُ اشتهر بعمل العجائب. ورد ايضاً ذكرهُ في رحلة ساخو (Sachau, 589) وعيدهُ في ٨ آذار. اما الموارنة الذين طلبنا رأيهم في هذا القديس فأجابونا ان حوشب صورة شرقية لاسم اوسابيوس اليوناني وهذا رأي السمعاني في كتابهِ سلسلة البطاركة الانطاكيين فانهُ ذكر (ص ٣١) البطرك التاسع المسمّى اوسابيوس قال ويُدعى حوشب. وكذا اجاب ايضاً حضرة الخوري يوسف مخلوف من بقاع كفرا مستنداً على السنكسار الماروني وعلى كتاب الدويهي. وقد تسمّى كثيرون باسم اوسابيوس فرجحوا انهُ اوسابيوس اسقف سيساط الذي عيدهُ في ٢٢ حزيران وصورتهُ في كنائس الموارنة بهيئة اسقف واوسابيوس هذا قد جاهد في سبيل الايمان وقاوم المشبّهين لبدعة الاريوسيين في ايام قسطنطيوس والنس الاريوسيَّين ومات شهيد الايمان على يد امرأة هرطوقية ألقت على رأسهِ آجرَّةً فخدشت رأسهُ سنة ٣٧٩. والسنكسار اللاتيني يذكرهُ في ٢٢ حزيران اما الشرقيون ففي ٢١ منهُ

د

(دمتريوس) هو مار متري اطلبه في حرف الميم

﴿ دومط ﴾ ويقال دوماطيوس وضومط هو قديس شهير تعدَّدت الكنائس والاديرة القائمة على اسمهِ في لبنان كجهات البترون وفي بران وفيطرون والبوار وزوق ميكائيل والبوشريَّة الخ. واللبنانيُّون يلتجئون اليهِ خصوصاً في الامراض العصبية. اما القديس دومط فهو دوميطيوس الشهيد الانطاكي الذي نشر ترجمتهُ القديمة حضرة الاب ڤان دين غين (Van den Gheyn) اليسوعي في النشرة البولنديَّة (Analecta Bolland., XIX. 285) وخلاصتها ان دومط المذكور اصلهُ من بلاد فارس وُلد في اواخر القرن الثالث او اوائل الرابع للمسيح وكان وثنياً واسمهُ ابلر فتنصَّر في شبابهِ على يد بعض دُعاة الدين وهجر وطنهُ فترهَّب في مدينة نصيبين وتروَّض في اعمال النسَّاك ثم انتقل الى رأس العين فسكن دير القديسين سرجيوس وباخوس وبعد ان صار كاهناً عاش منفرداً في جبل قورش وكرَّمهُ الله باصطناع المعجزات وهدى كثيرين من عبدة الاصنام الى الايمان فعرف بامرهِ يوليانوس الجاحد وامر بقتلهِ فقتلوهُ رجماً نحو السنة ٣٦٣ للمسيح. عيدهُ في الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة في ٧ آب. ويكرِّمهُ السريان

في ١ ت ١ (اطلب كلندار الكنيستين للسمعاني (Assemani : Kal. U. E., I. 238) وكلندار الكنيسة الانطاكية لليعوني في المشرق (٥ : ٦٦—٦٧). اما السنكسار الماروني فيذكر ترجمة القديس دومط على شكل آخر فقال انهُ كان في ايام والنس الاريوسي واقيم من جملة وزراء الملك وانهُ كان يحثهُ على اضطهاد الكاثوليك فعاقبهُ الله بداء المفاصل فاستفاق وترك كفر الملك وخدمتهُ فتنسك وتشرَّف بعمل الآيات. ويلتجئون اليهِ في داء المفاصل فيدعونه دومط الفالج (له بقية)

الكتاب الابيض

رواية معرَّبة بقلم احد الاباء اليسوعيين (تتمة)

فراق في عين الامير أدبُ الاخوة ولطفهم واراد ان يستطلع حالهم ونسبهم وبلدهم فقال مستفهماً: « من تكونون ايها الاولاد الادباء ؟ » — قال البكر مشيراً الى اخوته: سيدي الامير انك ترى امامك اولاد التاجر المرحوم ملكيور الموسر الذي كان له في الصدق والاستقامة مع الناس وفي معارفهِ في فنون التجارة واساليبها المتنوعة ما هو اطيب في النشر واحسن في الأثر. لكنهُ بعد ان توقل الى العُلى بامانتهِ وترقَّى الى ذرى المجد بسليم طويتهِ طرقتهُ بوائق الاحداث واترلته في الدهماء بعد العزّ والرفعة. فاصبحنا الآن يتامى لا نملك شروى نقير فترانا هائمين في وجهنا لا ندري الى اين نسند رأسنا. بَيدَ أن رجاءنا بالله وطيد واملنا بالمستقبل مكين

— قال الامير بحنوّ والدي: أولادي اطلبوا مني ما تشاؤون فاني اعطيكموهُ بطيبة خاطر

قال يوحنا: سيدي لستَ مديوناً لنا بشيء ولكن ان رأيتنا اهلاً لخدمتك خدمناك بامانة وصرنا في حماك فأختبِرنا لعلك تُسرّ بحسن سلوكنا

قال الامير: بل اسعى في اموركم ريثما تبلغون رتبةً تمكّنكم من اكتساب معاشكم بشرف فتُحيون ذكر والدكم ملكيور

ثم التفت الى يوحنا وسألهُ ماذا يحبُّ ان يتولَّى من الاعمال ليبلغ مرامهُ

قال يوحنا: انَّ غاية ما اتمنَّى أن اخدم وطني واخوض معامع القتال في سبيل ملكنا العزيز كرلوس التاسع

— ما اشرف نفسك يا يوحنّا وما اعظم همّتك فها انا أرسلك الى وزير الحربية لينظمك في فرقة من الجنود الملكيّة واوصيهِ بك كي تتدرّب على كلّ آداب الحرب تحت نظارة اشهر القوّاد. وهاءنذا اقلّدك حساماً شرّفهُ اجدادي بقراع الابطال وغمروا بهِ معاطس صناديد الرجال وهدي بك انك توليهِ فخرًا جديدًا بمآثرك واعمالك الاتية

اجاب يوحنّا: اني أقسم بضريح والدي اني أعيد هذه الصمصامة الى مكانها ودمُ العدى يقطر من صفحتيها

ثم التفت الامير الى ابن ملكيسو الاوسط وقال: وانت يا جول أتريد ان ترافق اخاك فتتجنّد معهُ

— انّ قلبي يحدو بي الى جنديّة أخرى اعلى مقاماً تفوق جنديّة الارض شرفاً وعظماً

— وما تلك ؟

— اني أروم ان اخدم وطني ببـذل النفس والنفيس في صلاح القريب فاخدم الاجساد والنفوس معاً. فانّ الله يدعوني الى الكهنوت فيـا حبّذا لو استطعتُ يوماً ان ارشد الضالين واعزّي الحزانى واهذّب عقول الاحداث وافتح ابواب السماء لمن يبرح دار الفناء.

— ان كان الامر كذلك فتمم ما نويت يا جول واعلم انّ اسقف هذه المقاطعة احد اودّائي ومن اعزّ اصدقائي فـأكتب اليهِ بان يجعلك في مدرستهِ الاكليريكيّـة لتحرز فيها الآداب الكهنوتيّة والعلوم الدينيّة حتى اذا بلغت منها الكفاية تجرّدت لخدمـة النفوس. ويا ليتني اعيش الى يوم اراك فيهِ تمثّل بفضائلك سيرة الكاهن الالهيّ الذي تقصد الاقتداء بآثارهِ

ثم القى الامير بنظرهِ الى اصغر الاخوة وخاطبـهُ قائلًا: وانت يا عزيزي ايار اي اخويك تتبع ؟

— انا مُغرًى بالفنون الجميلة فاني منذ بلوغي اراني مندفعاً الى حبّ الجمال ورسم محاسن الطبيعة بالنقش والتصوير. فما اسعد حظّي لو أُتيح لي بان ادرس هذا الفنّ على ابرع الاساتذة في احدى المدارس المختصّة بهِ

— كُنْ مطمئنّ البال يا بُنيّ فانّ في جوارنا مدينة انفيون التي اشتهر فيها عدد من كبار المصوّرين وقد فتحوا هناك مكتباً للاحداث الذين يرغبون مثلك درس فنّهم

الشريف وانا اتكفّل بنفقات دروسك هناك فتحظى بجلّ مرامك

فقال يوحنا: سيّدي قد طوّقت جيدنا بقلائد نعمتك وجعلتنا أسرى معروفك فاليوم قد ثبت لنا صدق ما كتبهُ ابونا المرحوم في كتابهِ الابيض:

من يَفعل الخير لم يَعدَم جوازيَهُ لا يذهب العرفُ بين الله والناس

فانّا انقذنا ابنتك من النصّابين ولم يكُ لنا بانقاذها كبيرُ فضل وها انت تُثيبنا على فعلنا مائة ضعف فجازاك الله خيرًا وانسأ في اجلك كي تُسَرّ يومًا بما تشاهدهُ من حُسن جميلنا

*

مرّت على هذه الاحداث سبع سنوات كانت فرنسة في خلالها أصيبت بضروب المحن فانّ الحروب المدعوّة بالحروب الدينية كانت انتشبت بين الاهلين فقام البروتستنت الكلوفيّون المعروفون بالهوغنوت واثاروا الفتن في كل انحاء الدولة فجعلوها دار حرب وعاثوا فيها عيث العدوّ الالدّ حتى ظنّ الكثيرون ان الفساد استشرى بحيث لا يُرتَق فتقهُ وانّ الداء تفاقم فلا يؤسى كلمهُ

لكنّ الله لم يشأ انّ ابنة الكنيسة البكر تذهب ضحيّة البدع الجديدة فألهم الملك كرلوس التاسع ان يجمع شتات المملكة ويجبر كسرها فالتجأ الى قومٍ من الكاثوليك الامناء من الأسر الشريفة واستنهض همّتهم ودعاهم الى مقاومة المبتدعين فلبّوا دعوتهُ وقامت الحرب على ساق بين الحزب الملكي واصحاب الثورة في عدّة مقاطعات

وكان الامير سافوازي اوّل من اجاب الى ملتمس الملك كرلوس فاستدعى عددًا وافرًا من اهل ايالتهِ وجهّز العُدَد وسرّب الخيل وانضمّ الى الجيش الملكيّ فساروا الى جهات بروفنسه جنوبيّ فرنسة حيث العدوّ كان معسكرًا واثقًا بخيلهِ ورَجلهِ. فما لبث الفريقان ان أذكيا نار حربٍ عبوس اتّقد سعيرها وتأجّج أوارها فتبارزت الرجال وتصادمت الابطال

وكان الامير سافوازي في مقدّمة فرقتهِ يناوش العدوّ القتال بقلب اصلب من الصخر فعرف العدوّ انّهم لا نجاح لهم ما لم يفتكوا بذلك القائد فتألّب عليهِ فرسانهم وحملوا عليهِ حملة الرجل الواحد فسطع الرّهج من سنابك الخيل وترجرجت الارض تحت اقدام الكُماة واذا بصوت قد سُمع بين القوم: قد فُزنا بأنصار الملك وها

سقط اميرهم. وللوقت تداعت الاصوات وتجاوبت اصداء الجبال واشتبكت الهيجاء وتشجرت الاسنّة ووقع الامير عن فرسهِ بين الجرحى والقتلى

وهم لذلك اذ ظهر فارسٌ صادق البأس شديد المراس ونزل في حومة الوغى كالبرق اللامع فجالد وجاهد وجاذب وحارب حتى عدّهُ العدوّ ليث غابةٍ او شيطانًا ماردًا خرج من قعر الجحيم تكفاحهم فذعروا ونُخب لُبهم واستُطير قلبهم فولّوا مُدبرين وَمنحوا المالكيين اكتافهم وانهزموا وقد اضلّ الله سَعْيَهم وخيَّب آمالهم

فلمّا رأى الفارس المِغوار انّ العدوّ قد انكسر وتبدَّد شذر مذر أسرع الى ساحة الحرب وطلب بين اكداس الجَرْحى الامير الصريع ليضمّد جراحهُ او يفوز بجثتهِ ليودعها اللحد بما يليق بها من الاكرام. فلم يزل يبحث عن ضالَّتهِ حتى سَمع نباح كلبٍ كان لم يفارقهُ طرفة عين في حربهِ فصرخ « مَهيَم يا فرّاس » واقترب من الكلب فاذا بهِ ينبش بين الصرعى ويتشمّم رائحةً كان عهِدَها من ذي قبل فساعدهُ الفارس وما فتئ ان وجد الامير مضرّجًا بالدماء وهو على آخر رَمَق مغشيٌّ عليهِ فاسرع وعصب جراحهُ بعصائب ابتزّها من ثياب القتلى ثم حملهُ على جوادهِ وركب هو وانتهر فرسهُ قائلًا: « هيًّا بنا يا ريح ». فصار الجواد ينهب الارض نهبًا حتى وصل الى مأمن في قرية محالفة لحزب الملك فسلّم الامير الى طبيبٍ كان هناك واوصاهُ بهِ

ثم امتطى جوادهُ ورجع ادراجهُ الى ساحة الحرب والكلب فرّاس يتقدّمهُ. فلمّا وصل الى المكان ترجّل واخذ من جديد يطلب جريحًا يسعفهُ او بائسًا ينقذه من المكروه وكأنّ كلبه فرّاس ادرك مرامه فجعل يبحث بيدَيهِ حتى كرّر نباحه فاستدعى نظر مولاهُ فاقترب من الكلب واذا برجلٍ لابسٍ لبس الكهنة الأسود كان أتى هناك ليخدم الجرحى ويزوّدهم بالاسرار قبل وفاتهم فأصيب برصاصة كسرت ساقه وصرعتهُ حتى لم يمكنه ان يُبدي حراكًا من كثرة الالم فحمله الفارس على جوادهِ وأتى بهِ مسرعًا حيث كان الامير فسلّمه الى الجرّاحين لينظروا في امرهِ

ثم عاد الفارس ثالثةً الى عرصة القتال لينفّس كُرْبة الجرحى فسمع في طريقهِ انينًا ضعيفًا كأنّه صوت مكروب بلغت نفسه التراقي فارسل فرّاسًا يرتادُ الاحوال فبعد قليل عاد اليهِ ينبح فتبعه الى شجرةٍ هناك واذا تحتها شابٌ يناهز العشرين من سنّهِ أصيب بضربةٍ على امّ رأسهِ كادت تكون القاضية. وكان بجانبهِ صورة زاهية الالوان في منتهى

الاتقان تمثل احوال الحرب في كل هيئاتها فأعجب الفارس بالصورة وحملها مع الفتى المسكين على فرسهِ واقتل راجعاً الى حيث نقل الامير والكاهن سابقاً

وكان الليل في تلك الاثناء قد مدَّ رواقهُ وعاد الجيش الظافر الى محلّتهِ واخذ الجند يتبادلون اطراف الحديث ويتسآلون عن تفاصيل حربهم فأقرُّوا جميعاً بأنهُ لولا فارسٌ بُهمة دخل مصافّ الفريقين وبدَّد شمل العدوّ لكان ذلك اليوم شؤماً مشؤوماً على الدولة وشرعوا يقتصّون آثارهُ ليشكروا فضلهُ فلم يجدوا لهُ خبراً. فصاروا يطلبون اميرهم وهم يظنّون انهُ قُتل وانَّ جثته في ساحة الوغى

امَّا الفارس الباسل فكان في مطاوي الامر عاد الى القرية حيث وجد الامير والكاهن والممرّضون يُعنون بامرهما وهما لا يزالان مغشياً عليهما فاستدعى الجرّاحين وطلب اليهم ان ينظروا في حالة الشابّ وجعل هو ايضاً يخدم الجرحى ويترقّب كل حركاتهم وكأنَّ ما اصطنعه بهم جذب قلبه نحوهم وهو لم يعرف منهم الّا الامير

فبقي الفارس الى منتصف الليل يخدم اولئك المبؤوسين حتى رآهم قد ضُمِدت جراحاتهم وخفّت اوجاعهم وغلب هو عليه النُعاس فانطرح على الحضيض قريباً منهم بعد ان ربط فرسه ريحا وترك فرّاساً عندهُ

وما مرَّ عليهِ هزيعٌ من الليل حتى سمع ضجّة على باب المنزل فجعل الكلب ينبح بشدّة كأنّهُ يهاجم عدوًا فانتبه مذعورًا وصرخ بأعلى صوتهِ « صه يا فرّاس ودَعنا ننام » . ثم قام الى الفرس وهو يصهل واذا بلصّ يحاول ان يختلسه والكلب يمانعه طاقة جهدهِ . فلمَّا رأى اللصّ انّ امرهُ انكشف فرَّ هاربًا ونجا تحت ستر الظلام

وكان الفتى صاحب الصورة اذ احسّ بالضوضاء شعر بحالهِ وسمع اسم الكلب « فرّاس » فتذكَّر انه اسم كلب والدهِ وكان منذ سبع سنوات قد ابتعد عن مسقط رأسهِ ولم يعرف ما جرى بأخويهِ يوحنا وجول. فخُيِّل له انّ الفارس الذي نجّاهُ هو اخوهُ الكبير وانّ الفرس هو ريح فرس ابيهِ والكلب كلبه فرّاس. فلما هزم الفارسُ اللصّ وعاد الى مكانهِ ليضطجع صرخ اليهِ الفتى : ناشدتك الله يا صاح الستَ يوحنَّا ابن ملكيور ؟

— وكيف تعرف اسمي ؟

— اليس هذا فرّاس كلبُ ابينا ملكيور وهذا الفرس فرسهُ ريح وانت ابنهُ

البكر. اعلم اني انا اخوك الصغير ايار كنت منذ ايام سمعتُ بانتشاب الحرب فقصدت ساحة الوغى لأصوّر من عيان حركات الجند واحوال القتال في مكان معتزل فكدتُ انجز العمل اذ مرَّ بي جنديٌّ هاربٌ امامكم فرآني وضربني ضربةً اليمة افقدتني الشعور ولولا ان الله ارسلك لانقاذي لعلّني كنتُ ودّعتُ الحياة

فلمّا سمع يوحنا هذا الكلام رمى بنفسهِ على عنق اخيهِ ايار وقبّلهُ والدموع تسيل من عينيهِ وشكر الله الذي خلّص اخاهُ على يدهِ

وبينما هما يطلقان العنان لفرحهما ويتبادلان عبارات الحبّ ويتذاكران الزمن القديم كان الكاهن الضجيع افاق من غشيتهِ فسمع بعض كلامهما وعرفهما وصرخ: أأنتما هنا يا يوحنا وايار؟. فليكن الرب مباركاً اذ جمعنا في هذا اليوم وانا اخوكما جول كاهن الله. انني لمّا عرفتُ بقرب وقوع المعركة بين الجيش الملكيّ وعسكر الموغنت توسّلت الى اسقف الابرشيّة وقد مرَّ على سيامتي شهران فقط بان يسمح لي ان اخدم الجرحى في ميدان الحرب فاذن لي وبقيت مدّةً افتح لكثيرين ابواب السما. وكنتُ قريباً من الامير اذ جندلهُ الاعداء فاسرعتُ الى اسعافهِ فاصابتني رصاصةٌ فوقعتُ بلا حراك ولا اعلم ماذا جرى لي بعد ذلك. وهاءنذا اراني مع اخويَّ العزيزين بعد سبع سنوات فارقتهما لاستعدَّ لدرجة الكهنوت

قال هذا وكان كلامهُ ينفذ في قلبي اخويهِ فأثّرا لاستماعهِ ايّ تأثيرٍ وتقرّب منهُ يوحنا وقبّلهُ واثم يديهِ وبلّهما بدموعهِ. امّا ايار فكان يذرف الدموع على فراش ألمهِ. ثم قضى الاخوة تلك الليلة يسبّحون الله الذي جمع شملهم وجعل الحرب وسيلةً لتلاقيهم

ثم اخبر يوحنا اخويهِ بوجيز الكلام كيف انتظم في الجنديّة وتمرّن على آداب الحرب وانهُ كان ينتظر بفروغ الصبر فرصةً ليظهر فيها تفانيهُ في سبيل وطنهِ فلمّا بلغهُ انّ الحرب الاهليّة ثارت بين جنود الملك واصحاب الشغب ألحَّ على قائدهِ بان يرسلهُ الى ساحة الوغى فجاء بعد السير الحثيث ونزل في مجال الحرب اذ كادت تدور رحاها على الامير سافوازي فانقضَّ انقضاض الصاعقة على العدوّ واعمل في رقابهِ ذلك الحسام الذي قلّدهُ اياهُ الامير قبل سبع سنوات حتى ضعضع اركانه

*

مرَّ على اجتماع الاخوة ثلاثة اشهر وكان الاخوان جول الكاهن وايار المصوّر شفيا

من جراحها. امّا الامير سافوازي فانّهُ كان نُقل الى قصره حيث اهتمَّ بامره ابرع الاطباء فحسنت حالهُ وعرف ما اتاهُ يوحنا من المآثر الجليلة والاعمال الاثيرة فارسل واستدعاه الى قصره واثنى اطيب الثناء على بسالتهِ واقطعهُ الاقطاعات الواسعة وطلب لهُ من الملك وسام الشرف فاناله ما طلب. وكذلك اعلم اسقف الابرشيّة بحسن سلوك الكاهن جول فجعلهُ قانونيًا على كنيستهِ الكاتدرائيّة. اما ليار فارسل الامير الصورة التي رسمها في موقع الحرب لتُعرض في معرض فنيّ عظيم في باريس فنالت الجائزة الاولى

فما كان هذا النجاح الباهر لأن يُنسي الاخوة وعدهم بان يحضروا في تمام سبع سنوات الى ضريح ابيهم فاتوهُ في اليوم المعيَّن وقدَّم جول الذبيحة المقدَّسة لراحة نفس والدهم. امّا ذاك الشيخ المسكين الذي اخذ على نفسهِ حراسة ضريح ملكيور وعرف ما ناله ابناؤهُ من الفخر فأتاهم مهنئًا فجعلوا له راتبًا يعيش بهِ بقيّة ايّام حياتهِ. فكان لسان حالهم يردّد ما كتبه ملكيور في الكتاب الابيض

من يفعل الخير لا يعدم جوازيهُ لا يذهب العرفُ بين الله والناس

مطبوعات شرقية جديدة

LUDWIG VON SYBEL : Christliche Antike, II Bd, Plastik, Architectur u. Malerei. *Marburg, Elwert*, 1909, in-4°, illustré.

العاديّات النصرانيّة

وصف حضرة الاب سبستيان رنزڤال في المشرق (١٠ : ٨١١) الجزء الأوّل من العاديّات النصرانية فوقع وصفهُ موقع الاستحسان لدى المؤلف فشكرهُ في مقدّمة هذا الجزء الثاني. ولولا غياب الاب المذكور لحقّ لهُ ان يصفهُ للقرّاء كما فعل بالقسم السابق. ولعلّهُ يفضّلهُ على ذاك في بعض الاشياء. وخصوصاً في حيادهِ عن مَسّ الدين فانّ المؤلف عرف انّهُ اثريّ ومؤرّخ وليس من ارباب الدينيّات فحصر كتابتهُ في الامور التي هو متضلّع فيها فتتبّع الآثار النصرانيّة من هندسة وبناء ونقش وتصوير وأحسن في بيان خواصّها. ولهُ مقدّمة جامعة تحتوي لباب آرائهِ في الفنون الجميلة لدى اليونان والرومان والشرقيين (Hellas, Rom u. d. Orient) لكنّهُ لا يذهب مذهب الكاتب ستزيغوفسكي (Strzygowski) وذويهِ الزاعمين بانّ نفوذ الشرق اثّر كثيرًا في

صنائع الغربيين. وهذا التأليف بلغ الغاية في حسن طبعهِ ووفرة صورهِ المحفورة بالنور غالباً ومنها ثلاث بالالوان الزاهية فتستلفت اليها انظار الاوربيين ر. ش

LEONHARD BAUER : Das Palaestinische Arabisch. Die Dialekte des Staedters u. Fellahen, Grammatik, Uebungen u. Chrestomathie. 2te Vollstaendig umgearbeitete Aufl, *Leipzig, Hinrichs*, 1910, VIII-256.

اللهجة العربيَّة الدارجة في فلسطين

انَّ صاحب هذا التأليف لم يقصد بهِ التعليم النظري بل العمليّ وغايتهُ ان يفيد السيَّاح القادمين الى فلسطين لاسيما الالمانيّين معرفة اللغة الشائعة بين اهل المدن والقرى لكنَّهُ لم يصوّر الالفاظ بحروفها لكن بصورها الاجنبيَّة. وقد راج هذا الكتاب بحيث احتاج المؤلف الى تجديد طبعهِ وفي صدره تقريظ العالم الالمانيّ الاستاذ دلمان وهو دليل كافٍ على حسن مزاياه. ومما لحظناهُ نحن في هذه الطبعة انَّ المؤلف لم يفرق فرقاً جليّاً بين الالفاظ الالمانيَّة وترجمتها العربيَّة المكتوبة بالحرف الغربي فينتج من ذلك بعض التباس. والأولى ان تكتب الالمانيَّة بحرف روماني والعربيَّة بحرف ايطاليّ تمييزاً لكلتيهما وزيادةً في الايضاح ل. ر

C. BROCKELMANN : Précis de linguistique sémitique, traduit de l'allemand par W. Marçais et M. Cohen, *Paris, Geuthner*, 1910, pp. 224, in-12.

فقه اللغات الساميَّة

هذا الكتاب وضعهُ باللغة الالمانيَّة سنة ١٩٠٦ الدكتور كرل بروكلمان الشهير بتآليفهِ في الفنون الشرقيَّة وطبعهُ في مجموع الفنون الآتي تُنسب الى غوشن (Collection Goeschen) فنقلهُ الى الفرنسويَّة المسيو مرساي مدير مدرسة الجزائر والمسيو كوهن المُلحق بكليَّة باريس وهو يشتمل على تاريخ اللغات الساميَّة ثم على اصول الخطوط الساميَّة وآخراً على لهجات جلّ اللغات الساميَّة وتصريفها دون نحوها وتراكيبها لا يستلزم ذلك من الشروح الطويلة. وهذا الكتاب مع صغر حجمهِ من افضل ما كُتب لاهل المدارس عن اللغات الساميَّة والابحاث المتعلّقة بها فيقف الدارس على ما يتذاكرهُ العلماء من هذا القبيل. وهذه الترجمة الفرنسويَّة قد طُبعت بعد مصادقة المؤلف عليها وانما أُضيف اليها عدَّة افادات بخصوص اللهجات الشائعة في بلاد المغرب وكنَّا وددنا لو تحاشى

المترجان بعض الالفاظ الغريبة التي لا تنطبق على ذوق الفرنسويين كلفظة spirantisation بدلًا من spiration. ونتمنّى لهذا الكتاب انتشارًا واسعًا ب. جرون

M. Attaja : Skazka o Kamar-ez-Zaman *Moskwa*, 1908, pp. II-72.

حكاية قمر الزمان

هو احد الكتب التي اهدتها الينا ادارة مدرسة اللغات الشرقيّة في موسكو يحتوي حكاية قمر الزمان منقولة عن كتاب الف ليلة وليلة (راجع طبعة بيروت ٣ : ١٧٥—٢٢٤) وقد نقلها من الطبعة المصريّة وصحّحها وضبطها بالشكل لاجل افادة طلّاب اللغة العربية ميخائيل افندي عطايا البيروتي معلّم اللغة العربية في المدرسة المذكورة . وممّا يُنقص من فضل هذا الكتاب كثرةُ اغلاطهِ الطبعية لاسيما في الايات ولا يعجب من ذلك من له ادنى المام بالمطابع الشرقية في روسيا فان مرتّبي الحروف قلما يعرفون اللغات الشرقية. ولو اردنا استقراء كل اغلاط الكتاب لطال بنا الكلام وعليهِ نرجو من المصحح اصلاحها على قدر الامكان في الطبعة الثانية ليصير الكتاب الذي لا نقص فيهِ ألّا من هذا الوجه على غاية ما يُرام وتزيد فائدته لطالبي العربية

ا. كراتشقوفسكي

Abbâ Takla Marjam fils de Samhârâj du monastère de Siḥat : Manuel épistolaire, *Rome*, 1902 (1909), in-12, pp. 56 en geez.

مراسلات في اللغة الحبشيّة

قد سبق مكاتبنا الاديب عبد الله افندي ميخائيل رعد فبيّن لقرّاء الشرق (٨ : ١٠ و ٣١٤) خواصّ اللغة الحبشيّة واقسامها وعرّفهم هناك بلغة الاحباش المقدّسة المعروفة بالگعز (geez) فتنشيطاً لدرس هذه اللغة اراد احد ادباء الحبش المسمّى ابًا تقلا مريم من رهبان دير سيحات ان يجمع او ينشئ رسائل متعدّدة في كل ابواب المكاتبات كالسلامات والتهانئ والتعازي والمعاملات فبلغ المجموع ٥٦ صفحة قدّمه للاستاذ فرنشسكو غالّينا من اعضاء الكتب الشرقي في نابولي فاحبّ المذكور ان ينشر هذا الكتاب الفريد وعهد بطبعهِ الى احد طابعي روميةُ السير دي لويجي فجاء على غاية ما يُرام من الاتقان. وقد اطّلعنا على هذه الطرفة الحبشيّة فوجدناها مفيدة لدارسي اللغة الحبشيّة بين الاوربيين لكثرة موادّها وحسن انشائها مع دقّة وصفها لعادات الحبش

الاهليّة وصفًا مدقّقًا. فنهنّئ المؤلف بعمله ونشكر كل من ساعده على نشره بالطبع

الاب ماريوس شان

The Nestorian Monument, an ancient Record of Christianity in China with special reference of the expedition of Frits V. Holm. Edited by D^r Paul Carrus, *Chicago*, 1909, pp. 42.

اثر سي نغانفو النسطوري في الصين

سبق لنا في المشرق غير مرة (٣: ٨٥٠ الخ) وصف هذا الاثر الجليل الراقي الى سنة ٧٨١ للمسيح وقد لخّصنا محتوياته وهو الى اليوم لا يزال موضوع بحث العلماء. ثمّ شهده آخرًا السائح الانكليزي «فرتس هولم» فوصفهُ من جديد. والكتاب الذي نحن بصدده يحتوي هذا الوصف المنشور بهمّة الدكتور كاروس. وقد راجعناهُ فلم نجد فيهِ شيئًا يستحقّ الذكر بعد الوصف الواسع الذي نشرهُ الاب هنري هفره (H. Havret) اليسوعي المرسل في الصين في ثلثة اجزاء مطوّلة وعشرات من التصاوير الفوتغرافيّة وقد رسم الأثر بالتدقيق مع بيان صورته السريانية عن طبعة خاصة تولّينا صنعها في مطبعتنا فارسلناها الى شانغاي للاب المذكور. وقد تعجّبنا انّ صاحب هذا التأليف لم يُشر الى ذلك العمل السابق الذي أثنى عليهِ جميع العلماء العارفين بالآثار الصينيّة والمعدود من اجل منشورات المرسلين اليسوعيين الشهيرة باسم (Variétés sinologiques) التي تُطبع في مطبعة رسالتنا في شانغاي

ل. ش

Le Prologue-Cadre des Mille et une Nuits, les Légendes Perses et le livre d'Esther par Em. Cosquin, Extrait de la Revue Biblique, *Paris, J. Gabalda*, 1909, pp. 80.

فاتحة الف ليلة وليلة وسفر استير

انّ في سفر استير مشاكل تاريخيّة يصعب حلّها على المنتقدين فترى الكتبة الذين ينكرون الوحي يطلبون حلّها وجوهًا غاية في الغرابة فمن ذلك انّ البعض زعموا مؤخرًا انّ قصّة استير رواية خياليّة لا صحّة لها في الواقع استعارها بعض كتبة اليهود من قدماء العجم فنقلوها من الاساطير الفارسية التي شاعت بعدئذٍ بين العرب في كتاب الف ليلة وليلة وخصوصاً في فاتحة الكتاب حيث يذكر الملك شاهزمان والملكة شهرزاد. فيزعمون انّ استير هي شهرزاد كما انّ شاهزمان هو الملك احشورش ويسعون سندًا لهذا الزعم

ان يُؤَيدوهُ ببعض الحجج التي يطول هنا شرحها. فتصدَّى لهذه الاقوال الباطلة احد الكتبة الفرنسويين من مراسلي المكتب العلميّ في باريس الكاهن عمانوئيل كوسكين وفنَّدها تفنيدًا لم يُبقِ من ذلك البناء الوهميّ حجرًا على حجر فراجع كل ما يُعرف من اصل روايات الف ليلة وليلة بالفارسيَّة والهنديَّة وغيرهما وبيَّن بادلَّة اسطع من النور انَّ مزاعم المعادين للاسفار المقدَّسة خالية من كل اساس علميّ. فشكرًا لله الذي يُلهم اهل العلم الصحيح بان ينتصروا للحقائق الراهنة ويكشفوا ظلام الشبهات ل.ش

ابدع ما نُظم في الأَخلاق والحِكم

تاليف الاديب يوسف افندي بن عبد الغني سنّو الحسيني

طبع في مصر سنة ١٣٢٣ (ص ٢٤٠)

انَّ في الشعر العربيّ الجاهلي والاسلامي من القصائد الحكميَّة المثلة لمكارم الاخلاق والباعثة على كمال الآداب ما يحسن بهِ أن يُطبَع في صفحات القلوب وترسخ معانيهِ في ذاكرة الناس عمومًا واذهان الاحداث خصوصًا. ومن ثمَّ نثني على همة جناب الكتبيّ يوسف افندي سنّو الذي جمع عددًا وافرًا من الحكم المنظومة لشعراء المفلقين وقسمها ابوابًا وذيَّلها بتراجم ناظميها. وبين هذه الطرائف المستطرفة عدَّة منظومات جادت بها قريحة جامع الكتاب تحت عنوان «مقيّد اوابدهِ ومؤلف شوارده» وهي ليست دون اقوال الاقدمين لفظًا ومعنًى وانسجامًا. وخلاصة القول قد طابق اسم الكتاب مسمَّاه فجاء ابدع ما نُظم في الاخلاق والحكم. ويا ليت الكتاب ضُبط بالشكل الكامل وحُلَّت بعض مُعضلاتهِ اللغويَّة لكان افضل دستور لتعليم المدارس. وان شاء الله يُسدّ هذا الخلل في طبعة ثانية ل.ش

ترقّي المائلات في تربية البنات

جمعهُ جناب الكتبي الاديب يوسف افندي صفير

طبع في بيروت سنة ١٩١٠ (ص ١٤٤)

قليلة هي الكتب التي وُضعت في بلادنا لتهذيب الفتيات فترشدهنَّ الى الاخلاق الكريمة وتروّض اطباعهنَّ في الاطوار الاولى من حياتهنَّ ما دُمن في الدار الوالديَّة وتنكّبهنَّ عن العادات السيئة التي يصعب عليهنَّ استئصالها ان لم يتداركنَ الامر في حداثة سنّهنَّ. وقد احسن الاديب صاحب مكتبة المدارس بجمعهِ افضل ما كُتب من ذلك في

القطرين السوري والمصري فسبكهُ سبكاً حسناً وصدَّرهُ بمقدّمة عموميَّة في التربية وشروطها ثم ألحقهُ بثلاثة ابواب في فصول متعدّدة ضمَّنها اقوال اولئك الكتبة في آداب الفتاة الباطنة كالدين وما ينوط بهِ من الفضائل ثم الآداب الظاهرة ونظام حياة الفتاة في رعاية جسدها وحسن تصرُّفها في حركاتها وسكناتها ولبسها وكلامها. ثم الآداب الاجتماعيَّة وما يختصّ بسلوك الفتاة مع قريبها مباشرةً باهل بيتها ثم الغرباء. فنثني على همَّة جامع هذا الكتاب ونتمنَّى لعملهِ رواجاً ل.ش

خواطر في الحبّ والزواج

بقلم كامل افندي توتونجي (في حلب بمطبعة صدى الشهباء ١٩١٠ ص ٦٤)

خواطر ادبية واجتماعيَّة نقلها الكاتب الاديب عن تأليف طبيب افرنسيّ وضمّ اليها شذرات مفيدة «التقطها من كتب شتى.. متحاشياً كل ما يمسّ الشواعر الادبيَّة والتربية» فجاء كتيبهُ جامعاً لكثيرٍ من الاقوال والاخبار اللاحقة بهذا الموضوع محرّضاً على الآداب وناهياً عن المنكر فاستحقَّ منَّا الثناء. ا.ر

شذرات

❋ تقليد احمد باشا الجزّار للامير يوسف الشهابيّ الحكم على بلاد الشوف ❋ اوقفنا جناب الاديب يوسف افندي صفير على مرسوم لاحمد باشا الجزّار تاريخهُ سنة ١١٩٥ هـ (١٧٨١ م) وفيهِ يقلّد الامير يوسف ابن ملحم الشهابي حاكم بلاد الدروز الولاية على جبل الشوف فنثبتهُ هنا بحرفهِ ليسلم من الضياع شاكرين لطف الاديب الذي اعارنا ايَّاهُ:

«صدر المرسوم المطاع الواجب القبول والاتّباع الى فخر الامراء اسمعيل ابو اللمع والى مشايخ وعقّال ورعايا مقاطعة المتن عموماً يحيطون علماً نعرّفكم انهُ كما تقتضي القوانين المرتّبة والعوائد السالفة الى ملتزمين المقاطعات بموجب شرط توليات العهدة ان يتسربلوا الخلع الفاخرة ويكونوا مصرّفين بالحكم ويضبطوا ويربطوا ويجب على امراء ومشايخ وعشائر ان يكونوا مأذين الطاعة غير مخالفين حسب القوانين لاجل اداء غرش الميري بوجه الاستقامة وحسن الخدامة كما سلكوا الذين سلفوا ولأن الواقع يغاير ما تقرّر لانهُ في السنة المباركة واجب مارت سنة ثلاثة وتسعين ومائة والف قد التزم من لدننا مقاطعة جبل الشوف افتخار الامراء الكرام ولدنا الامير يوسف الشهابي وسربلناهُ

الحاكمة القاخرة ان يكون متصرّفاً حكومة جبل الشوف مادياً (موْدياً) الاموال الميريّة التي بذمّته وعهدته تماماً والآن حضر لدينا المومى اليه وترامى على بساط مراحمنا وتقرّر لدينا بعد التأكيد شتات حاله وتزاحه من محل حكومة جبل الشوف وذلك من كثر الفساد والفتن الصايرة من الاشقياء العصاة اولاد علي جنبلاط لاجل تلاف وعدم الامير يوسف فهذا الفعل يغاير رضانا ولا نقبله كليًّا لانهُ عدم اصغاء لاوامرنا الشريفة قاصدين السلوك بالعصاوة واقاموا حاكم عوض الامير يوسف مع علمهم انهُ متصرّف من لدننا ومادياً (وموْدياً) غرش الميري وصدق الخدامة كما ينبغي والاشقياء المرقومين قاصدين لشهار عصاوتهم مقتفين آثار من سلفوا . فلمّا تأكّد لدينا السعي والفساد من هؤلاء الخارجين حالاً جهزنا عساكرنا المنصورة وحزم الرأي لدينا بعد التوكّل على الله تعالى وهو نعم المصير قاصدين المنازلة في سبيل الله لانتقام وقصاص العصاة الخارجين مجردين سيف الانتقام لحسم آثارهم ودمار ديارهم ولمن يكون من احزابهم وبتاريخهِ موجهين العسكر المنصور صحبة الامير يوسف متقدماً ومسرعاً وبعدهُ ننهض بكامل عساكرنا ونحرّك ركابنا الشريفة من مدينة صيدا ونوقع السيف بسفك دماء الاشقياء اين ما كانوا مستترين . وعزّة الله العلي الاعلى لازم ادمّر ديارهم واسفك دماءهم فبناء على ذلك اصدرنا لكم بلورديا هذا من صيدا فبعد سماعكم فحواهُ السامي تكونوا حائدين عن الاشقياء المرقومين وكلمن يلاصقهم يكون خارجاً عن خاطرنا ورضانا ويوقع في الندم حيث لا ينفع واطاعتكم الحميدة مأكّدة (موكّدة) لدينا فلا يحتاج تكرير . اعلموا واعتمدوا ذلك غايت (غاية) الاعتماد والحذر ثم الحذر من الخلاف في ٥ صفر سنة ١١٩٥[١] *

❁ ترويرات دينيّة ❁ لا يزال بعض الجهّال يتناقلون صلوات ينسبون اليها مفاعيل عجيبة فيعرّضون بذلك الدين للسخريّة فمن هذا القبيل صلاة مار قبريانوس والصلاة التي زعموا أنها وُجدت في قبر السيّد المسيح والصلاة المنسوبة الى القديسة بريجيتا وغير ذلك مما لم تصادق عليهِ الكنيسة . وقد أُرسلت حديثاً الى ادارة المشرق صورة صلاة يوزّعونها في الجبل هذا منطوقها :

---

* (الختم في صدر المنشور) : « وما توفيقي الّا بالله . . . خاتم مهر . . . الجزّار احمد »

الهي نطلب منك ايها الرب الازلي ان تشفق على الجنس البشري وتنجينا من كل خطيئة باستحقاق دمك الثمين لكي نملك معك الى الابد

فهذه الصلاة المصنوعة قد دعوها «سلسلة الصلاة» وزعموا انّ «واضعها رئيس اساقفة اورشليم وانّ كل من يكتبها تسعة ايّام متوالية ابتداؤها حين وصولها اليه ويرسلها الى تسعة اشخاص مختلفة يحصل على فرح عظيم في اليوم التاسع والله ينجيه من كل المصائب والذي يمتنع عن نشر هذه الصلوة يُعرض للمصائب والّا تنقطع السلسلة». تلك هي الخزعبلات الصبيانيّة التي يتداولها اولئك الاغرار. فنكرّر قولنا للقرّاء انّهُ لا يجوز لاحد ان يطبع او يوزّع شيئاً من هذه الصلوات المصنوعة الّا برخصة ارباب الدين وامضاء الاساقفة الاجلّاء. وكل صلاة لم يصادق عليها الرؤساء تُعدّ باطلة

مخطوطات جبل سينا عاد الاثري الروسي بنشاي (Benesvie) من رحلتهِ الى جبل سينا حيث اكتشف ٩٢٦ كتاباً من المخطوطات اليونانيّة اكثرها من سير القديسين القديمة وقد اخذ منها رسوماً تبلغ ١٢٠٠ رسم

اسئلة واجوبة

عُرضت علينا عدّة اسئلة في حقوق الاساقفة ورؤساء الرهبان بخصوص ربط الرهبان ووكالة الاوقاف لنجيب عليها في المشرق الّا اننا رأينا الاوفق العدول عن البحث في مثل هذه الامور الخاصّة علانيةً اذ ليس في نشرها فائدة للعموم فان اراد السائل جواباً فليطلبهُ شفاهاً او كتابةً من احد علماء اللاهوت

وكذلك سُئلنا عن الصوم عند الشرقيين وشروطهِ من حيث السنّ والصورة والمادّة وجنس المآكل فلمّا كانت الاراء مختلفة جداً في الامور المنوطة بهذا الشأن نُحيل السائل الى رؤساء كنيستهِ. وما يقال اجمالًا ان الولد عند الشرقيين يلتزم بالصوم اذا امكنهُ الامر دون مشقّة. والصوم يبتدئ منذ نصف الليل الى الظهر ولا يجوز في هذا الوقت شرب الماء ولا الأكل البتّة هذا فضلًا عن الانقطاع عن المآكل المحرّمة من لحم او بياض ما لم تُعطَ فسحة في ذلك. ويا ليت الرؤساء الشرقيين يحدّدون هذه المسائل بتدقيق كما تفعل الكنيسة الرومانيّة ليطمئن فكر المؤمنين ويجري معلمو الذمّة على خطّة واحدة في حلّ هذه المشاكل الوضعيّة

ل. ش.